شرح رسالة التوحيد

للشيخ محمد السعيد الغامدي

(رحمه الله ت ١٢٤٥هـ)

الـمُسَـمّـى

العـقـيدةُ الـمرضيّـة

في بيان توحيدي الألوهـية والربـوبـيـة

تحقيق وشرح

خالد بن علي المرضي الغامدي

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد يسر الله لي الوقوف على مخطوطة كتاب في علم التوحيد للعلامة الشيخ محمد السعيد الغامدي صورها لي مشكوراً الأخ أبو عبد الرحمن الفقيه وقد عثر عليها ضمن مكتبة القاضي محمد المنصوري الغامدي ١٢٣٣ - ١٣١١هـ .

كما ذكر الأخ عبد الله الدربي وجود نسخة أخرى عنده حصل عليها من مكتبة العلامة أحمد الحرفي الغامدي المتوفى سنة ١٢٦٣هـ .

والمؤلف على الطريقة السلفية ويعد من أئمة الدعوة ، إلا أنه لم يظهر كما ظهر غير من علمائها، أمثال الإمام محمد بن عبد الوهاب وطلابه وأبنائه والإمام الصنعاني والإمام والشوكاني والعلامة الوزير خالد الحازمي أمير جازان صاحب كتاب قوت القلوب في توحيد علام الغيوب والشيخ الحفظي العسيري صاحب طبقات الصاعدين في التوحيد والشيخ العجلي البكري شارح التوحيد والشيخ النعمي صحاب كتاب معارج أولي الألباب والمحدث محمد بن ناصر الحازمي له ردٌ على ابن جرجيس وابن غنام الأحسائي والإمام الدهلوي له كتاب في التوحيد والشيخ السهسواني له ردٌ على زيني دحلان والألوسي له ردٌ على النبهاني وغيرهم .

ولما رأيت رسالة التوحيد للسعيد الغامدي فقمت بتحقيقها وإخراجها ، ثم شرحها شرحاً متوسطا يبين مسائلها ويجلي قواعدها .

والذي دعاني لتحقيق وشرح هذه الرسالة في التوحيد أمور :

الأول : ما حوته من تقريرٍ لعقيدة أهل السنة وبيان توحيد الألوهية وما اشتملت عليه من الأدلة في وجوب إفراد الله تعالى بالعبادة وتكفير المشركين ، وتميزها بظهور القواعد والدلائل في ذلك على اختصارها .

الثاني : العناية بعلماء المدرسة السلفية وكتبهم ضمن مشروع شرح وتعليق على كتب أئمة الدعوة السلفية بدأته بالمقامات وختمته بكتاب القراءات يسر الله طبعه.

الثالث : إبراز ما كتبه علماء غامد في نصرة مذهب السلف وبيان عقيدة أهل السنة والجماعة.

هذا وقد قدمت رسالة التوحيد بالكلام عن مؤلفها وكتابة والتعريف بقبيلة المؤلف وموطنه. ثم عقدت فصلاً عن الحياة العلمية في بلد المؤلف سراة غامد بالحجاز وسرد بعض علمائها .

ختاماً أسأل الله الإخلاص والقبول وحسن العمل .

والله أعلم وصلى وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

كتبه : أبو علي خالد المرضي

بديار غامد ، حرسها الله بالتوحيد

في أول صفر من سنة ألف وأربعمائة وأربع وثلاثين من الهجرة النبوية

القسم الأول الدراسة

الفصل الأول: التعريف بالمؤلف وبقبيلته وموطنه

الفصل الثاني : الحياة العلمية في بلد المؤلف (قبيلة غامد)

الفصل الثالث : التعريف بالكتاب وتحقيقه

الفصل الأول التعريف بالمؤلف وبقبيلته وموطنه وكتابه

المبحث الأول : التعريف بقبيلة المؤلف (قبيلة غامد)

غامد قبيلة أزدية . تنتسب إلى عمرو الملقب بغامد: وهو عمرو بن عبد الله بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد . والأزد هو ابن غوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

والأزد التي غامد منها من ذرية إسماعيل بن إبراهيم. يدل لذلك قول النبي ﷺ لبطن من الأزد: (ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا). رواه البخاري.

والأزد هم سبأ الذين سلط عليهم بسيل العرم وكانوا بمأرب قال الصحاري: (لما خرج الأزد من مأرب حين أحسوا بسيل العرم، وصلوا مكة، فعند ذلك افترقوا من مكة، فمنهم من نزل السروات، حتى نزلوا أبيدة وهو وادٍ بين نجد والسراة) .

والقبائل الأزدية: الأنصار،غامد ،زهران رهط أبي هريرة،خزاعة،الغساسنة، ثمالة، بارق،ألمع،بالقرن،بنو شهر،بنو عمرو،بالأسمر،بالأحمر،البقوم ، الدواسر.

ويطلق أزد شنوءة على غامد وزهران خاصة دون بقية قبائل الأزد.

معنى كلمة غامد : مشتقة من الفعل غَمَدَ : ومعناه التغطية والتغشية والستر واللبس. والغِمْدُ جَفْنُ السيف. وتَغَمَّدَه اللهُ بِرَحْمَتِه ألبسه وستره بها.

وسبب تسمية عمرو بغامد: قال ابن دريد: سُمِّيَ غامِداً لأَنه تَغَمَّدَ أَمراً وأصلحه وأنهى فتنه بين قومه الازد وغمد سيفه فيها حتى ذهبت.وفي ذلك يقول :

تَغَمَّدْتُ أَمراً كان بَيْنَ عَشِيرَتي فَسَمّانِيَ القَيْلُ الحَضُورِيُّ غامِدا

عدد قبائل غامد المعاصرة : تنتسب لغامد اليوم عشرون قبيلة .

بعض مناقبهم وصفاتهم :

- أن الأنصار منهم، قال أنس: أي سابقة للأزد أفضل من أن الأنصار منهم.
- أن الله ﷻ نفس بهم على أهل الإسلام بجهادهم المشركين والمرتدين .
- أن غامد قاتلت إبرهة وقتلوا قائد جيشه كما ذكر ابن دريد وابن حبيب .
- حمت غامد أبا طالب والرسول ﷺ. قال المغربي ت ٤١٨ عن ابن إسحاق :

(**انطلق أبو طالب** بالرسول ﷺ وهو غلام **في غامد من الأزد**) الإيناس ١٤٦.

- أنهم عرضوا على الرسول ﷺ حمايته والهجرة إلى ديارهم بسراة أزد شنوءة .

كما قال الطفيل للرسول ﷺ : هل لك بحصن حصين . رواه مسلم .

- جعل النبي ﷺ شعارهم (مبرور). واعتزت غامد أيضاً بالهيلا .
- أن قبيلة غامد أسلمت جميعاً قبل الهجرة ووفدت عليه بمكة ، وأجابوا دعوة الرسول ﷺ ولم يمتنع أحد منهم ثم وقر الإيمان في قلوبهم فلم يرتدوا في زمن الردة حين ارتدت العرب.

تسامع رجال منهم بالنبي ﷺ وهو بمكة فآمنوا به منهم الحارث الغامدي.

- لما كتب ﷺ لغامد وهو بمكة يدعوهم أجابوا وقدموا عليه بمكة مسلمين.

وفي الكتاب: (أما بعد: فمن أسلم من غامد فله ما للمسلمين حرمة ماله ودمه ولا يحشر ولا يعشر وله ما أسلم عليه من أرضه) .قال ابن سعد في الطبقات: (كتب النبي ﷺ لأبي ظبيان من غامد يدعوه ويدعو قومه إلى الإسلام ، فأجابه في نفر من قومه بمكة .. وقدم عليه بالمدينة .. ثم قدم بعد مع الأربعين الحكم ..) .

- وفدت قبيلة غامد والرسول ﷺ بمكة قبل الهجرة وبالمدينة ١٠ه. وكتب لهم كتابا من رواية سفيان الغامدي وفيه:(في كل مال فرع قد استغنى لسانه عن اللبن)..

- حضرت غامد مجالس النبي ﷺ وتحملوا بعض أحاديثه ونقلوا سنته مثل صخر بن وداعة راوي حديث (بورك لأمتي في بكورها). والصحابة من غامد كثر وقد بلغوا في أحد وفودهم أربعين رجلاً وهؤلاء غير الذين كانوا في حجة الوداع .

- قتل جندب بن كعب الغامدي ﷺ الساحر في مجلس الوليد والي العراق ، وهو راوي حديث (حد الساحر ضربة بالسيف) ، وقد أثنى عليه النبي ﷺ وأخبر به.

- نزلت في جندب بن زهير الغامدي ﷺ آية: (فمن كان يرجوا لقاء ربه) .

- لم تدخلهم بدعة ولم يناصروا باغ أو مفسد. أيضاً غامد من القبائل التي لم تدن للقرامطة ، ولا لدولة رافضية على مدار التاريخ. كما أورد ذلك عنهم الهمداني.

- كتب عمر ﷺ لغامد لمناصرة جيوش المسلمين فقدم إليه مخنف بن سليم الغامدي في سبعمائة من قومه غامد.

- زهير بن سليم الغامدي ﷺ قاتل قائد الفرس النخارجان وهو أول من لبس من العرب السوارين بأمر سعد بن أبي وقاص ﷺ . كما في الأخبار الدينوري .

المبحث الثاني : التعريف بديار المؤلف وموطنه (بلاد غامد)

تعتبر ديار قبيلة غامد التي نشأ فيها المؤلف : من إقليم الحجاز :

تبعد أطراف غامد عن الطائف بـ١٤٠ كم . وتهامتها جنوب مكة بـ٢٠٠ كم.

وكانت تسمى ديارهم بمخلاف السراة وأزد شنؤة . وكانت تعتبر من أعمال مكة. وهي اليوم ما يعرف بمنطقة الباحة ، وكانت تسمى بلاد غامد وزهران.

والقبائل بين غامد والطائف: ثقيف فبني سعد فبالحارث فبالك فزهران.

قال الهمداني في صفة الجزيرة:(ثم يتلوها شكر (من غامد) ثم سراة غامد ثم سراة زهران ثم بجيلة ثم فهم وعدوان ثم سراة الطائف).

وتجاورهم زهران وخثعم وسبيع وعتيبة والبقوم وبالحارث وحرب وكنانة.

قال العوتبي في الأنساب: (وغامد هي جمرة من جمرات العرب، وهم الذين لم يغزهم أحد من العرب في ديارهم إلا عاد مفلولاً..) .

ومنازل غامد لم يتغير من قبل الإسلام وقد ذكر شعراء غامد الجاهليون مواضع بديارهم لا تزال معروفة إلى اليوم ، كحزنة والأحسبة والعقيق وبيدة وكرا .

أقسام غامد الإقليمية بالحجاز:

الأول: بالسراة وهم سبع قبائل:

خثيم عبدالله ظبيان كبير الرهوة قريش الشهم.

الثاني: قسم بتهامة وهم:غامد الزناد.

الثالث: قسم بنجد. وفيه ١٢ قبيلة من غامد ويكثر عندهم زراعة النخل.

المبحث الثالث : ترجمة المؤلف

هو الشيخ العلامة محمد السعيد الـحُمْراني الغامدي .

يرجع في الـجُـنـُش التي تعتبر صدر قرية الحُمْرَان التي يعـود نـسبها في قبيلـة بني سِيْد إحدى قبائل غامد وقد ذكرها الصحاري ت٣٠٠هـ في كتابه الأنساب.

وبني سِيْد كانت بنجد غامد في بيدة والعقيق ومنها جابر بـن أسـيد الغامـدي قاتل الشنفرى في الجاهلية في وادي أبيدة كما في الأغاني للأصفهاني وغيره .

وبقيـت بنـي سِـيْد بـديارها حتـى سـنة ٥٣١هــ فانتقلـت إلى سراة الحجـاز وتفرعت في قبائل غامد وغيرها.ومنها الحمرن حيث دخلت في قبيلة بلجرشي التـي ترجع في قبيلة شكر من بطن محمية بن غامد .

عقيدته: كان رحمه الله على منهج السلف ينافح عن عقيدة أهل السنة والجماعة ويدعو للتوحيد . ويتبين ذلك جلياً في رسالته هذه .

مذهبه : يظهر أنه كان على طريقة عامة علماء غامد يتفقهون على مذهب الإمام الشافعي .فهم شافعية المذهب.

وممن يظهر تأثره به من علماء غامد :

الشيخ العلامة أحمد الحرفي الذي قتلته عساكر الترك سنة ١٢٦٣هـ .

الفقيه عيسى الأبلجي ١٢٦٠هـ .

القاضي أحمد بن هباد ١٢٩٠هـ .

القاضي محمد المنصوري ١٢٣٣- ١٣١١هـ .

وفاته : كانت وفاته رحمه الله ببلجرشي من بلاد غامد قبل عام ١٢٤٥هـ .

الفصل الثاني : الحياة العلمية في بلد المؤلف (قبيلة غامد)

كان ببلاد غامد الكثير من العلماء والقضاة والفقهاء، وتنوعت جهودهم فمنهم المتفرغ للتعليم والفتيا وقعودهم لتدريس الطلاب، ومنهم من اشتغل بالإصلاح بين الناس وبين القبائل، ومنهم المنشغل بالقضاء، وهذا الأمر يلحظه المعتني بالمخطوطات والحجج والوثائق وسنورد بعض الأمثلة لذلك.

وقد رأيت لعلماء غامد أحكاما قضائية بين المتخاصمين في الدماء والأموال والنكاح واستفتاءات كثيرة، وهي متناثرة في الرقاع والحجج مؤرخة في السبعمائة والثمانمائة والتسعمائة وفي الألف وبعده، وهي كثيرة جدا ويعسر حصرها، ولو اعتنى بها أحد الباحثين لخرج في عدة أجزاء يتبين منها ترجيحات واجتهادات علماء غامد.

وكان القضاة يعينهم أمراء من غامد وعلماء يزكونهم .

ومن أمثلة أحكام بعض القضاة في الألف :

القاضي محمد بن حسن بن الحسام الخثيمي الغامدي :

قال في أحد أحكامه سنة ١٠٦٣: (فشهدا عندي الفقيه عيسى بن ماحية الظفيري وابن معيظة الخيالي شهادة الحق لندبنا عبد الرحيم إلى الفقيه إبراهيم زمان الشردة وخراب الدور سنة ١٠٤١هـ .. فقبلت شهادتهما وحكمت ببطلان دعوى الشراء ، ومكنت معشي من الجرح، فلم يجرح بل شهد كل من عندي بعدالة الشاهدين مع علمي بذلك كان ذلك الحكم بمحضر خلق كثير) .

القاضي عبد الرحمن بن أحمد الأبلجي : جاء في حكم له سنة ١٠٤٠ في نزاع على شرب بئر:(فحكمت بصحة يمين عطية بن عوض السعيد وأبطلت دعوى خصمه).

القاضي أحمد بن عبد الرحيم الرفاعي جاء في أحد أحكامه سنة ١٠١٥:

(صح وثبت بين يدي القاضي أحمد الرفاعي أن آل خنين من بني حمده قد انقرضوا ولا عقب لهم ولا عصبة إلا امرأة فرددنا عليها المال كله بعد فرضها فرضا وردا) .

الفقيه عيسى بن ماحية الظفيري العبدلي في الألف :

كان قضاة وقته يستدعونه ويستعينون به ويستأنسون برأيه في الأحكام .

الفقيه علي بن رايع العامري قرأت له وثيقة استفتاء سنة ١٠١٩ .

القاضي محمد المغربي المعجلي:له أحكام كثيرة في الألف متناثرة في الحجة.

القاضي عبد الكريم بن أحمد الجرشي الغامدي . جاء في حجة كانت تقرر حكمه سنة ١٠٧١ : (ثم نظرت في كتب أهل الرهوة فوجدتها صحيحة يجب إمضائها والعمل بمقتضاها وقد أمضيتها على ماجرى من الصلح ..) .

أما القضاة في القرون المتأخرة فكانت الدول السابقة تعينهم في القضاء .

من أمثلة ذلك تنصيب حاكم عسير عائض بن مرعي عام ١٢٦٧ هـ قاضياً وإلزامه بالقضاء : (عمدنا الأخ العلامة محمد بن عيسى ونصبناه قاضياً لغامد وزهران يحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ثم ما صح من مذهب الإمام الشافعي، وأنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وقد ألزمناه بذلك ومن عارضه في جميع ما ذكرنا فلا نقره على ذلك من أمير أو مأمور . وما كان له من معاون فنحن نقوم به من بيت المال إن شاء الله وحشمته وإجلاله منا تامة) .

مذهب علماء غامد : كانوا في الفروع يتفقهون على مذهب الشافعي .

وكان القاضي عوضة الحمراني يدرّس الفقه الشافعي والحنبلي .

وكان علماء غامد في المعتقد على المذهب السني :

فكانوا يثبتوا الصفات والاستواء على العرش ويقومون بالدعوة للتوحيد ويظهر ذلك في خطب بعضهم المخطوطة وفي أشعارهم ما يثبت ذلك أيضاً .

ولما قامت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أثنى عليها علماء غامد منهم:

الشيخ مسعود بن حجر الجرشي الغامدي في رسالته الفائدة.

والشيخ محمد المنصوري في تاريخه.

وقد حث علماء غامد القبائل على قتال العساكر المصرية والتركية والمغاربة، وحكموا بردتهم، منهم :

الشيخ العلامة أحمد الحرفي الذي قتلته العساكر التركية .

والشيخ القاضي ابن هباد الذي قتل أيضا بسبب العساكر التركية .

وكان على جيش غامد وخيلهم في قتال القوات المصرية الشيخ صالح بن حابش كما ذكر عثمان بن بشر في كتابه عنوان المجد .

هذا وقد كان لعلماء غامد دور بارز في الأحداث السياسية :

ومن ذلك تحريضهم القبائل قتال الغزاة المعتدين بل ذهبوا إلى تكفير القوات المصرية والتركية وإيجاب قتالها وعدم الرضوخ لها .

كما كان لهم ثقل في القبائل والقرى في الصلح بينها وقطع النزاع والحجج المدونة لذلك أكثر من أن تحصر .

كما كان لهم حلق للتدريس وكان لبعضهم عريشا ينصب في الأسواق لتعليم الناس أحكام البيوع وقسمة المواريث وتقبل الاستفتاءات والإصلاح.

ولبعضهم مدارس وكتاتيب في بيوتهم يقومون فيها بالتفرغ للتعليم.

وكان منهم من له مجلس للفُتيا يستقبل الناس فيه . ولو جمعت اجتهادات وأراء واستفتاءات علماء غامد لخرج في مجلدات. وسنورد بعض الأمثلة في ذلك.

وكان طريقة طلب العلم في غامد أن طالب العلم يدرس على علماء بلده من غامد ومنهم من يرحل للبلدان والأمصار للاستزادة من العلم، وغالبهم يدرس على علماء اليمن ومكة والمدينة، ومنهم من رحل للشام ومصر والعراق والهند، ووجدت رسالة لأحد فقهاء غامد أرسلها لأهله وهو بالدرعية وقد أخذ عن علمائها .

ثم يرجعون لديارهم ومعظمهم يتفرغ للفتيا والوعظ والتدريس والقضاء . ومنهم القليل من يمتهن التجارة أو يزاول الزراعة .

ومنهم من درّس في اليمن ومنهم من درس في الحرم مثل الشيخ حسين بن خضر الغامدي والشيخ عبد الخالق القحطاني .

كما كان لبعضهم تصانيف في الفقه واللغة والتوحيد :

أمثال العلامة محمد السعيد الغامدي صاحب الكتاب هذا الذي نشرحه .

الشيخ مسعود بن حجر قرأت له شرحا على الأجرومية في النحو وتقريرات على كتاب منهاج الطالبين للنووي .

الشيخ محمد بن أحمد الغامدي له كتاب عن أحكام الجن والتعامل معهم .

الشيخ علي بن سعد بن جعفر البكيري له كتاب في الفقه ألفه عام ١٢٨١هـ .

وهناك كتب كثيرة مخطوطة لم تظهر كمؤلفات الشيخ عبد الخالق.

أما التعليقات والحواشي على الكتب ، فقرأت لعلماء غامد من ذلك الكثير.

كما أن ديار غامد كانت محط لرحال كثير من العلماء في طريقهم للـيمن أو مـن علماء اليمن في ذهابهم لمكة .

فمن العلماء الذين مروا بالسراة ابن المبارك واحمد بن حنبل .

ومنهم من نزل السراة واستقر بها كما فعل أبو ذر ابن السماك وأبو مكتوم الذي حج من السراة عام ٤٩٧هـ وكان يجتمع به العلماء السرويون وغيرهم في مكة.

سير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٥٥.

وكان أمراء القبائل في غامد يعتنون بأمر العلماء :

ومن ذلك تفريغ الفقهاء لتدريس أبناء البلد، كما كانوا يعينون القضاة.

وربما جعلت كل قبيلة لقاضيها مجلسا يـوم سـوقها إمـا في مـسجد سـوقها أو ينصب له مكانا مرتفعا في السوق وذلك للوعظ وأيضا للنظر في الخصومات والحكم بين الناس والإصلاح وكتابة الوثائق والجلوس للإفتاء .

ولهذا أمثلة كثيرة : كابن جعاث في اثنين بني سـالم والحـرفي في ثلاثـاء الرهـوة وابن هباد في سوق بالشهم . أضف لذلك كتـابتهم الفتـاوى وتـصريحهم بـإقرارهم لفتاوي بعضهم وكونها في أماكن تجمع الناس .

ولم تكن بلاد السراة عقيمة من العلماء عبر القرون :

حيث يجد المعتني بعلماء من غامد في السراة في الخمسمائة والستمائة والـسبعمائة والثمانمائة والتسعمائة والألف وما بعده وقد ترجمت لبعضهم .

وهذا الوصف فيما بعد القرون المفضلة إلى زماننا ، أما علماء السلف من غامـد من الذين عاشوا في القرون المفضلة فلا يمكن حصرهم لكثرتهم ، ومنهم :

الصقعب بن زهير.محدث وثّقه أبو زرعة وابن حبان وأبو حـاتم. مـن سـكان الكوفة . روى له البخاري في الأدب المفرد .

أبو جعفر محمد بن عبدالله بن عمار بن سـوادة المخرمـي الغامـدي البغـدادي الموصلي توفي عام ٢٤٢هـ عن ثمانين سنة .

من أهل بغداد نزل الموصل من العلماء المحدثين وأحد الحفاظ المكثرين.

ممن روای عنه النسائي ووثقه وكذا ابن المديني والدارقطني قال الإمـام أحمـد رأيته عند يحي القطان . وترجم له أبي زكريا في تاريخ الموصل وطبقات علماء الموصل والخطيب في تاريخ بغداد والسمعاني وابن حجر في التهذيب والذهبي.

له كتاب في الرجال والرواة والعلل .قال الذهبي في الميزان له تاريخ مفيد .

وكان القرن السادس والسابع خصوصا زاخرا بالعلماء في السراة من أمثال :

الشيخ : يوسف بن جار الله الزيلعي ٦٥٠ – ٧٤١هـ ووالده أيضاً .

وقد قرأت له بعض الأحكام القضائية منها ما كان سنة ٧٢٨ هـ .

الشيخ محمد بن عيسى بن سالم بن علي الدوسي ٦٠١- ٦٧٤ :

درس على علماء السراة ، ثم ترك ديار زهران وغامد واستقر بمكة، عرف فيها بجمال الدين بن خشيش ولقب بمفتي الحرمين . له المقتضب في الفقه ونظم للتنبيه ثم شرحه في أربعة أجزاء . ترجم له في بغية الوعاة ص ٨٨ . والزركلي ٦/ ٣٢٣ .

الشيخ عبد الله بن يوسف بن عيسى الزهراني ت ٦٠٥. عرف بابن رقية .

الشيخ موسى بن علي بن ثابت البكري السروي ٧٥٣هـ أخذ عن فقهاء غامد وزهران بالسراة رحل لطلب العلم لدمشق ومصر وأخذ عن علمائها منهم الحافظ العراقي ثم رجع السرة ثم نزل مكة ومات بها سنة ٧٥٣هـ. العقد الثمين ٦/ ١٣٧ .

الشيخ موسى بن عيسى بن يوسف بن مفلح بن مسعود الجعدي الزهراني ٧٣٨–٨٢٩هـ.من قرية الخليف درس على والده وعلماء بلده . صار يرحل إليه علماء مكة واليمن وغيرهم . جمع مروياته ابن فهد في تحفة الورد . توفى بتهامة زهران سنة ٨١٢ وقيل ٨٢٩هـ . ترجم له السخاوي في الضوء اللامع ١٠/ ١٨٨ .

الشيخ إبراهيم بن جميع الخلفي ٧٧٧ .

وإليك بعض الأمثلة في فتاوى علماء غامد لما يرد عليهم من أسألة :

١ – فتاوى ثلاثة من علماء غامد في مسألة متعلقة ببيع الفضولي سنة ١١٣٥ :

سؤال : ما قولكم دام فضلكم في رجل سافر وبقي في سفره سبع سنين ثم رجع وإذا بعض قرابته قد باع من تركته حبلة وفيها أشجار وثمار ، ويدعي المشتري أنه شرا من القريب ، والرجل هذا يدعي أن البيع فاسد . فهل والحال ما ذكر يصح البيع من غير مالك ولا وكيل ولا ولي شرعا وهل العقد صحيح أم باطل؟ وإذا قلتم بعدم صحة العقد فهل يلزم المشتري ما أتلف من الأشجار ؟ أفتونا لا عدمكم المسلمين والسلام .

الجواب : والله الموفق لإصابة الصواب . البيع الصادر غير صحيح ، لأنه بيع فضولي كما عبر به في المنهاج وغيره من الكتب ، ويلزم المشتري جميع ما أتلف ، لأن المبيع مأخوذ بعقد فاسد . والله أعلم. قال به محمد بن يوسف .

وجاء بعده إقرار الشيخ علي بن أحمد على الفتوى السابقة في ذيلها : قال :

الحمد لله عز شأنه . نظرت ما تضمنه الجواب أعلاه فوجدته صحيح صريح ، يجب إمضائه والعمل بمقتضاه شرعا ولي الصبي أبوه ثم جده ثم وصيهما ، فإذا لم يوجد فالولي الحاكم والقاضي ، فينصب للقاصر ولي يتصرف له بالمصلحة .. فمن ذلك يُعلم أن البيع المذكور فاسد ويرجع المباع للولد .. كما هو مقرر عند العلماء رضي الله عنهم قاله علي بن أحمد مصليا على محمد.

الحمد لله . الجواب أعلاه ظاهر الصحة ، والبيع في حق الغير من غير مسوغ ما يجوز واتباع الحق فريضة والله أعلم . كتبه عبدالله بن محمد الفقيه .

٢- مثال آخر : فتوى أربعة من علماء غامد بصحة وقف :

قال العلامة الحرفي : طالعت على هذه الحجة وتأملت ما فيها من الوقف الصحيح الصادر من المالك الرشيد في زمن صحته على أولاده . فنقول بصحته شرعا ولا للقادح فيه عمدة .. وكتبه أحمد بن علي الحرفي .

وجاء إقرار ثلاثة من أهل العلم عليه :

فقال الأول : (الوقف الصادر في بطن الورقة صحيح صريح وهو على شرط الواقف وليس لأحد فيه تحريف ولا تصريف) وكتبه خير بن علي .

وقال العالم الثاني : (الوقف الصادر بحال الصحة على معين صحيح لايتطرقه الفساد، لأن شرط الواقف كنص الشارع وهذا مقرر في جادة مذهب الشافعي والله أعلم). وكتبه عبدالهادي بن أحمد .

وقال الثالث:(ورد إلي ما شرح باطنه من الوقف من جائز التصرف على الأبناء صحيح العبارة واضح الإشارة يجب إمضاه والعمل بمقتضاه إذ للمالك التصرف وافق الشارع .. ومن هنا يعلم الجواب وبالله الاعتماد) . أملاه عبدالرحمن بن علي .

٣- سؤال عن الصلاة بموضع كذا لقبيلة كذا سنة ١٠٩٠.

فأجاب العالم عبدالله بن محمد الغامدي بعدم صحتها ولا التيمم منها .

٤- إقرار علماء مكة على أحد فتاوى العالم ابن هباد سنة ١٣٠٥:

قالوا : ما قرره سيدي العلامة وحرره العالم الأحشم عبد الرحمن بن أحمد بن هباد الغامدي صحيح.

٥- استفتاء في كسب ناتج من مال مشترك أصله وجواب العلماء فيها :

الجواب وبالله التوفيق . الظاهر والله أعلم أن الكسب المذكور في السوال لمن كسب المال لاحتمال أن المال الأصلي بقي في يد إخي المرأة كما هو في عادة أهل البلد ، حيث لا مانع من استيفاء الأرث .. كتبه محمد بن عبدالله .

وجاء إقرار الشيخ عبدالله بن حجر عليها بقوله : (ما قاله الفقيه محمد صواب لا خلل فيه ولا اعتراض ولا للمذكورين شيء في جميع ما نتج من المال).

٦- فتاوى العلماء في صحة بيع بالمقايضة وهو المعروف عندنا بالمناقل :

قال : (الحمد لله عز شأنه نظرت ما في باطن الاستفتاء من المناقلة الصادرة بين المذكورين فوجدته صحيح صريح لا خلاف فيه ولا اعتراض وهو على قانون الشرعي و لا لأحد منهم الرجوع فيها قد ملك صاحبه ، فليكن ذلك معلوم عند من قراه قاله بفهمه) وكتبه بقلمه علي بن أحمد أبو زغدين.

وقال الشيخ ابن علي : (أشرفت على ما في باطن الحجة فوجدته صحيح على النص الشرعي ، وصح ذلك لدي).

وجاء إقرار عالم آخر على الفتوى السابقة في نفس الورقة.

وقال الشيخ الحرفي : (المناقل المذكور باطنه صحيح معتمد يجب على حملة الشرع إمضائه والعمل بمقتضاه وهو بيع صحيح وأحل الله البيع وحرم الربا، ويجب على ولي الأمر وإهل البلدة زجر المدعي ونهيه عن الاعتراض والتعدي).

٧- جواب ابن هباد لسؤال ورده عن نسب بيوت نازلة في قبائل غامد :

قال: (إنه لما كان حفظ النسب من مأثر العرب جاهلية وإسلاما وحث عليه ﷺ بقوله تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ، واستنبط بعضهم من قوله وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا مشروعية علم النسب ، وكان أبو بكر أعلم الناس بالعلوم النسبية .. وكان ممن انتشر عندنا في بلادنا بلاد غامد آل .. ونسبهم في حيز الجهالة.) .

٨- وفي سؤال عن حكم التعامل مع الجن .

أجاب فيه الشيخ محمد بن أحمد بن سعيد الغامدي من قرية الحصن ببلجرشي برسالة مطولة في ذلك .

ولو ذهبنا نتتبع فتاوى علماء غامد في المسائل النازلة والإستفتاءات الواردة لهم في الحجج والوثاق لخرج في عدة أجزاء .

وأختم الفصل بسرد مختصر لبعض أعلام غامد وعلمائها، فمنهم:

١ – أبو الحسن بن المعلم الغامدي سنة ٦٥٠هـ ترجم له في تاريخ المستبصر .

٢ – عبد الله الغامدي : عاش قبل القرن السابع .أورد الحموي في معجمه .

٣– الفقيه : منيع بن هلال الطليقي الرهوي ٥٠٠ هـ.

٤ – الشيخ : يوسف بن جار الله الزيلعي ٧٤١هـ .

٥ – القاضي : محمد بن عبد الغني بن أحمد بن جابر ٩٥٢ هـ .

٦ – القاضي : أحمد بن عبد الرحيم الرفاعي ١٠١٥هـ.

٧– الفقيه: إبراهيم الجلال ١٠٥٠.

٨– القاضي : محمد بن حسن بن الحسام الخثيمي الغامدي ١٠٦٣هـ .

٩ – القاضي : عبد الرحمن بن أحمد بن أبلج الكبري ١٠٤٥ .

١٠ – الفقيه : علي بن رابع العامري الجرشي ١٠٣٥ .

١١ – الفقيه : عيسى بن ماحية الظفيري العبدلي ١٠٥٠ .

١٢ – القاضي : محمد المغربي المعجلي ١٠٩٤هـ .

١٣ – الفقيه : جابر بن عبد الله الخثيمي ١٠٧٩ هـ.

١٤ – القاضي : عبد الكريم بن أحمد الجرشي الغامدي ١٠٩٠ .

١٥ – عبد الصمد الكبري ١١٠١.

١٦ – الفقيه : سعيد أبو زغدين ١١١٢ .

١٧ – القاضي : عطية بن علي ١١٦٢هـ .

١٨ – الشيخ : حجر بن عبدالله ١٢٢٣.

١٩ – القاضي : أحمد الحرفي من قبيلة الرهوة ت ١٢٦٣ .

٢٠- الفقيه العلامة : محمد بن علي الحرفي ١٢٩٠ هـ .

٢١- القاضي : عيسى بن أحمد الأبلجي الخثيمي ١٢٦٠هـ .

٢٢- القاضي العلامة أحمد بن هبّاد الغامدي ١٢٩٠ .

٢٣- القاضي : محمد بن عبد الله بن أحمد المنصوري ١٣١١هـ .

٢٤- الفقيه: مسعود بن حجر الجرشي ١٣٣٧هـ .

٢٥- الفقيه : أحمد بن محمد بن سعيد (جعاّث) ١٣٦٤ هـ .

٢٦- الشيخ : جمعان بن علي أبو حشيش ١٣٧٤هـ .

٢٧- الشيخ العلاّمة: علي بن إبراهيم المداني ١٣٨٤هـ :

٢٨- القاضي: عوضه بن صالح الحمراني ١٣٨٨هـ .

٢٩- الشيخ : عبد الخالق بن سعيد القحطاني ١٤١٤ هـ .

٣٠- الشيخ : حسين بن عبد الله الموجان ١٣٩٥هـ .

٣١- الشيخ العلامة المعمر : عبد الله بن سعدي العبدلي ١٤٢٦هـ .

٣٢- شيخنا الشيخ العلامة : إبراهيم بن مسلّم الحزنوي .

٣٣- شيخنا الشيخ : محمد بن جماح ١٣٣٦هـ - ١٤٣٠هـ .

كما أنه يوجد كثير من أعلام غامد من العلماء يعسر جمعهم وتتبعهم . ولو جُمعت تراجمهم من الحجج والوثائق والإستفتاءات لخرج فيهم سفرا كبيرا نافعا.

وقد ترجمت في رسالة أسميتها بالعلم الماجد في أعلام وتراجم علماء غامد لهؤلاء وغيرهم وتوجد الرسالة مختصرة في كتابي قبيلة غامد .

الفصل الثالث : التعريف بالكتاب وتحقيقه

المبحث الأول : التعريف بالكتاب

سمي هذا الكتاب برسالة التوحيد .

والرسالة احتوت على فصل في حقيقة العبادة .

وفصل في توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية. والاستدلال عليهما .

وفصل في إقرار المشركين بتوحيد الربوبية .

وفصل في معنى لا إله إلا الله .

كما جاء في الرسالة الكلام على بعض المسائل منها :

فضل التوحيد ، والحكمة من خلق الخلق ، ومسائل الشرك ، وعوصم الدم ومهدراته ، وحقيقة الإسلام ، والعبادات ، والبدعة ، والجهاد ، والولاء والبراء.

و يوجد في الرسالة سقط في آخرها .

المبحث الثاني : صورة من المخطوط

فصل واما الاقرار بتوحيد الربوبية
فهو الذي اقروا به مشركوا العرب ولا ينكرونه كما قال الله تعالى
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز
العليم ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله
قل من يرزقكم من السماء والارض ومن يملك السمع والابصار
ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر
فسيقولون الله وغير ذلك من الايات فمشركوا العرب كانوا
مقرين بان الله خلق السموات وخالقهم ورازقهم ومحييهم
ومالك السمع والابصار ولم ينفعهم ذلك ولم يعصم دما
ءهم واموالهم لانهم لم يوحدوا الله في الالوهية
التي هي التذلل لله بما شرعه الله وكانوا يدعون غير
الله ويسجدون لغير الله كما قال تعالى وما يؤمن
أكثرهم بالله الا وهم مشركون فهم مؤمنون بتوحيد
الربوبية ومشركون بتوحيد الالوهية فأباح الله
دماءهم واموالهم وذراريهم حتى يجمعوا بين التوحيدين
توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية وهو التوحيد الذي

المبحث الثالث

نص رسالة التوحيد

للسعيد الغامدي يرحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين على أمور الدنيا والدين

وبعد

اعلموا رحمكم الله أن الدين الذي خلق الله له الخلق هو عبادة الله وحده لا شريك له ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦ .

وخلقهم أيضاً لمعرفته ، كما قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ الطلاق: ١٢ .

فأخبر إنه خلقهم ليعرفوه بأفعاله حتى يعبدوه على الوجه الذي أمرهم به .

وحقيقة العبادة :

هي كمال المحبة والخضوع والتذلل لله ، بما شرعه الله على لسان رسله .

الدعاء، والصلاة، والصيام، والإنابة، والخشية، والتوبة، والنذر، والحلف، والتسبيح، والركوع والسجود، والحج .

هذا توحيد الألوهية ، المسمى توحيد العبادة .

وهو كله محضُ حقٍ لله .

لا يصلح منه شيء لملك مقرب ولا نبي مرسل ، وهو حق العبادة .

فلا ينوي المرء بشيء من هذه – العبادات السابقة وغيرها – إلا لله .

ويخلص له .

ويتب إليه .

ولا يدعى لكشف الضر إلا الله . كما قال تعالى : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ سورة الأنعام: ١٧ ، وسورة يونس: ١٠٧ .

وهذا توحيد الألوهية .

أما توحيد الربوبية فهو : أن يعتقد العبد تفرد الله بأفعاله .

كالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، والضر، والنفع، وغير ذلك .

ولا يصلح لغيره شيئاً (منها). فلا يقصد العبد بشيء منها لأحد .

ولا توجد حقيقة الإسلام إلا بقيام العبد بهذين التوحيدين ، وإخلاصهما لله تعالى .

فصل : وأما الإقرار بتوحيد الربوبية :

فهو الذي أقر به مشركوا العرب، ولا ينكرونه ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ الزخرف: ٩.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ الزخرف: ٨٧ .

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾ يونس: ٣١ . وغير ذلك من الآيات .

فمشركوا العرب كانوا مقرين بأن الله : خلق السموات، وخالقهم، ورازقهم، ومحييهم، ومالك السمع والأبصار ، ولم ينفعهم ذلك .

ولم يعصم دمائهم وأموالهم .

لأنهم لم يوحدوا الله في الألوهية ، التي هي التذلل لله بما شرعه الله .

وكانوا يدعون غير الله ويسجدون لغير الله .

كما قال تعالى : ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾ يوسف: ١٠٦ .

فهم مؤمنون بتوحيد الربوبية ، ومشركون بتوحيد الألوهية .

فأباح الله دمائهم وأموالهم وذرياتهم ، حتى يجمعوا بين التوحيدين ، توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية .

وهو التوحيد (أي الألوهية) :

الذي اتفق عليه المرسلون ، وأنزل به الكتب .

وخلق لأجله الخلق ، وشرع له الشرائع .

وهو أول فرض فرضه الله على عباده ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ النحل: ٣٦.

وهو العاصم للدم والمال، إلا بحق الإسلام .

وهو الذي لا يقبل الله عملاً إلا به ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ الكهف: ١١٠.

وهو أعظم العدل ، الذي قامت به السماوات والأرض .

والشرك أعظم الظلم .

كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ لقمان: ١٣ .

وقال :﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾ المائدة: ٧٢ الآية .

لأن الله لا يقبل عملاً مع الشرك :

كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ الزمر: ٦٥.

فصل : ومعنى لا إله إلا الله :

عملٌ به (أي بتوحيد الألوهية) . وتلفظٌ بها ، مع القدرة .

انقذه الله من ورطات الشرك والبدع .

فإن معناها : لا معبود (بحق) إلا الله .

وعبوديات القلب ...

فهي النطق بالشهادتين والصلاة والصوم والحج والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس ، كما قال تعالى : ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٤١.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، باليد واللسان والقلب، كما قال صلى الله عليه وسلم : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه) إلى آخره .

ومن عرف معنى لا إله إلا الله فرق بين المعبودين الحق والباطل .

فالحق هو الله وحده لا شريك له .

والباطل هو من ادعيت له العبادة ، كالأصنام وغيرها .

فمن عرف الحق جعل جميع عبادته ، وخوفه، وحبه، وبغضه، ورجائه، وتوكله، واستعانته بالله ، الذي لا إله إلا هو .

فلا يحب إلا في الله ولا يوالي إلا في الله ولا يعادي إلا في الله ..

هذا آخر ما وجدناه من رسالة التوحيد للغامدي .

القسم الثاني :

شرح
رسالة التوحيد للسعيد الغامدي

المسمى

العقيدة المرضية

شرحها أبو علي المرضي

قوله : (بسم الله الرحمن الرحيم) :

م (١) : البسملة :

البسملة أوردها المصنف رحمه الله في بداية مصنفه اقتداء بالكتاب العزيز ، وسنة الرسول ﷺ في رسائله للملوك وغيرهم فكان يبدأها بالبسملة، ومن أدلة الابتداء بالبسملة ما جاء في الحديث : (كل أمرٍ ذي بال لا يبتدأ ببسم الله فهو أقطع أو أبتر) وهذا الحديث في سنده مقال ولكن السنة تبقى في فعل الرسول ﷺ .

وأما معنى البسلمة في قوله (بسم الله الرحمن الرحيم) :

الباء هنا في بسم للابتداء ، والاستعانه والتبرك ، أي أتبرك وابتدئ مستعينا .

و(اسم) هنا حذفت الهمزة منها للتخفيف، والاسم مشتق من السمو وهو العلو ، ومشتق من السمة وهي العلامة والصفة ، فأسماء الله صفات له أي علامات وأوصاف ، وأيضاً سامية في قدرها ومكانها ، فهي لله ﷻ في قدر عال .

لفظ الجلالة (الله) اسم مشتق وليس بلفظ جامد وأصله مشتق من الإله على الصحيح، بعد أن حذفت الهمزة وأدغمت اللامين فصارت الله، والإله مشتق من أله إذا تأله وعبد فهو مألوه معبود كما سيأتي .

قال ابن عباس رضي الله عنه : (**الله : ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين)** الطبري.

(الرحمن الرحيم) اسمان لله ﷻ اشتقا من صفة الرحمة، والرحمن من الأسماء الخاصة به سبحانه بخلاف الرحيم، والصحيح في الفرق بين الرحمن والرحيم أن الرحمن من صفات اللزوم والذات وأما الرحيم فهي من صفات الأفعال التي تأتي وتذهب ليست ملازمة له عز وجل فالرحمن إذا أبلغ .

م (٢) : الاستعانة : قوله : (وبه نستعين على أمور الدنيا والدين) :

ومردها على التوكل وهو عبادة تقوم عليه كثير من العبادات، وجمع الله سبحانه بين العبادة والتوكل في مواضع كثيرة . " إياك نعبد وإياك نستعين " فالاستعانة على العبادة من معاني التوكل . " فاعبده وتوكل عليه " .

والاستعانة والتوكل له علاقة ودخول في توحيد الربوبية والألوهية

م (٣) : قوله : (وبعد) :

هذه فصل الخطاب الذي أوتيه داود عليه السلام .

م (٤) : قوله : (اعلموا) :

هذا من العلم الواجب الذي لا يسع المسلم جهله ويكفر المعرض عنه وترك تعلمه وعدم معرفته .

والعلم أحد مراتب الإدراك فأعلاها اليقين ثم العلم ثم الظن ثم الشك ثم الوهم ثم الجهل البسيط والمركب .

م (٥) : وجوب تعلم مسائل التوحيد وحقيقة الشرك وأسبابه :

يجب على كل مسلم أن يعرف التوحيد الذي أمرنا الله به، ويعرف الشرك الذي ينقضه ويسعى حثيثا في تعلم كل ذلك، وهذا حصن للمؤمن فإذا علم بالشرك اجتنبه، ألا ترى أن بعض الصحابة ﭫ حين جهلوا حقيقة الشرك والتوحيد وكانوا حديثي عهد بكفر طلبوا التعلق بالأنواط والتبرك بالأشجار لعدم معرفتهم ببعض صور الشرك، فأنكر عليهم النبي ﷺ، ولذلك ينبغي للمسلم معرفة الشر ليحذره.

هذا وقد كثر في المعاصرين الجهل بحقيقة الشرك، فلم يفهموا ما هو الشرك الذي حرمه الله تعالى والذي لا يغفره، وكثرت عندهم الشبه حول الشرك وحقيقته والسبب في عدم مغفرة الله تعالى لصاحبه .فظنوا أن دعاء الأولياء الأموات واتخاذ الوسائط وطلب الشفاعة ليس بشرك. وأن الحكم بالقوانين والتشريع ليس بشرك .

م (٦) : لا تنفع لا إله إلا الله إلا العالم بمعناها العامل بمقتضاها :

قال الشيخ سليمان في التيسير شرح التوحيد : (ولا ريب أنه لو قالها أحد من المشركين ونطق بشهادة أن لا إله إلاَّ الله محمداً رسول الله، ولم يعرف معنى الإله ولا معنى الرسول ، وصلى وصام وحج ولا يدري ما ذاك إلاَّ أنه رأى الناس يفعلونه فتابعهم ولم يفعل شيء من الشرك ، فإنه لا يشك أحد في عدم إسلامه).

وقال أيضا فيه: (أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا عمل بمقتضاها، فإن ذلك غير نافع بالإجماع . فتباً لمن كان أبو جهل وغيره أعلم منه بلا إله إلاَّ الله) .

م (٧) : الحنيف هو من أتى بالتوحيد و ترك الشرك عن قصدٍ وعلم:

مجرد ترك الشرك من غير قصد وتعمد تركه لا يكفي بمفرده في الدخول في الإسلام، فلا بد من ترك الشرك قصدا ومن الكفر به والبراءة منه ومعاداة أهله.

قال ابن كثير في تفسير ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ : (الحنيف هو المائل عن الشرك قصدا ، أي تاركاً له عن بصيرة) . وقال(المنحرف قصداً عن الشرك إلى التوحيد) .(ومقبل على الحق بكليته لا يصده عنه صاد ولا يرده راد) .

م (٨) : قوله : (رحمكم الله) :

هذا من التلطف بالمتعلم ومن حسن الدرس .

مبحث : الدين وبعض المسائل المتعلقة به :

قوله : (أن الدين الذي خلق الله له الخلق) :

م (٩) : **تعريف الدين :**

الدين: ما يتدين به الرجل ويلتزمه ويخضع له وينقاد له .

والدين يطلق على الإلزام والالتزام وعلى الطاعة والانقياد والخضوع وعلى ما يتدين به العبد من حق أو باطل وعلى القهر والاستعلاء والغلبة وعلى الجزاء والمكافأة والحساب وعلى العادة والشأن والسيرة والطريقة .

والدين لله هو طاعته والتعبد له والذل له .

قال ابن تيمية : (الإسلام دين، والدين مصدر دان يدين إذا خضع وذل، ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده).

والدين قريب من معنى العبادة والإسلام والطاعة والانقياد والملة.

م (٧) : خلق الله الخلق لينقادوا لله بالدين ويعبدوه قال تعالى :﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ البينة: ٥.

م (١٠) : **الدين يضاف إلى الله وإلى العبد :**

قال ابن تيمية: (الدين مصدر يضاف إلى الفاعل والمفعول، يقال دان فلان فلانا إذا عبده وأطاعه، كما يقال دانه إذا أذله، فالعبد يدين لله أي يعبده ويطيعه، فإذا أضيف الدين للعبد فلأنه العابد المطيع، وإذا أضيف لله فلأنه المطاع). ١٥/ ١٥٨ .

ودليل إضافة الدين للعبد : ﴿ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ ﴾ النساء: ١٤٦ .

ودليل إضافة الدين لله: ﴿ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ ﴾ آل عمران: ٨٣ .

م (١١) : **التدين ضرورة فطرية** : ما من امرئ في الوجود إلا وله دين يدين به ومعبود يعبده ، وهو محتاج لذلك مفطور عليه.

م (١٢) : **الدين قسمان**: الدين الحق وهو دين الإسلام والدين الباطل وقد ذكرهما الله في قوله : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾، ولا يقال لكم إسلامكم ولي إسلامي إذا الإسلام مصطلح خاص بدين الله ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا ﴾ آل عمران: ٨٥ ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ آل عمران: ١٩.

م (١٣) : **دخول التوحيد والشرك في الدين** :

أخبرنا الله ﷻ أن الدين له وحده وأمرنا بتوحيد الدين لله وأن نجعله خالصا له فلا ندين لغيره ولا نمتثل ونلتزم بأي دين غير دين الإسلام :

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ الزمر: ١١ .

وأمر ﷻ بالقتال حتى يكون الدين لله وحده ولا يكون فيه شركا : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ الأنفال: ٣٩ ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ البقرة: ١٩٣ والفتنة هنا الشرك .

وأنكر ﷻ على من جعل لله شريكا يشرع ويسن الدين ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ الشورى: ٢١.

قال ابن تيمية : (والدين هو الطاعة، فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله، وجب القتال حتى يكون كله لله) . الفتاوى ٢٨/ ٥٤٤.

قال الإمام الطبري: (يكون الدين لله: حتى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره) .

مبحث : التوحيد وبعض المسائل المتعلقة به :

قوله : (هو عبادة الله وحده لا شريك له) :

م (١٤) : **تعريف التوحيد في اللغة :**

التوحيد مصدر وحّد يوحد توحيداً .

ومعناه الإفراد والتمييز والاختصاص وما لا ثاني له ولا مثيل .

والتوحيد في أصل اللغة لا يطلق إلا على ما يقوم على أسلوب الحصر النفي والإثبات، فلا يسمى الشيء إفراداً أو توحيداً أو تجريدا أو إخلاصا إلا إذا قام على ركنين هما الإثبات مع النفي .

م (١٥) : **التوحيد على وزن تفعيل وهي صيغة تستعمل للنسبة لا للجعل :**

أي نسبة الوحدانية واستحقاق العبادة والربوبية لله الواحد الأحد ، وجعل المعبود واحدا ولا تجعل نداً مع الله وتنسب الشريك له .

بمعنى أنك تجعل العبادة لله وحده لا أنك جعلت الله مستحق للتوحيد لأن الله الذي جعل لنفسه ذلك وهذا من لوازم ذاته وخصائص صفاته.

ومثله التصديق والتكذيب فهو نسبة الصدق والكذب للمتكلم ممن سمعه .

فائدة : نسبة التوحيد تكون بالاعتقاد والعمل ، وذلك بجعل المعبود واحداً اعتقاداً وعملاً، وضده الشرك يكون بالاعتقاد والعمل وذلك بإشراك آلهة مع الله.

م (١٦) : **تعريف التوحيد الاصطلاحي :**

التوحيد شرعا : هو إفراد الله ﷻ بكل ما يستحقه وما يخصه .

والذي يستحقه ﷻ ويجب أن يوحد فيه ، ويعتبر من حقه الذي يختص به، ويجب علينا أن نفرده به ، ثلاثة أمور :

الأول : العبادة من التعظيم والمحبة والذل له والخضوع والطاعة والالتجاء.

الثاني : الربوبية والأفعال الخاصة به كالخلق والرزق والتدبير والإماتة.

الثالث : إثبات الصفات الحسنى التي مرجعها للكمال والجلال والجمال الذي تفرد به، وتنزيهه عن النقص الذي اشترك فيه جميع الخلق .

فالتوحيد : إفراد الله بالألوهية وبالربوبية والأسماء والصفات .

جاء في النصوص تفسير الإسلام بالإيمان وبالتوحيد . كما فسر الإيمان بالإسلام وبالتوحيد .كما فسر التوحيد بالشهادتين والعبادة والإخلاص والإيمان والإسلام . كما سمى الله التوحيد والعبادة إيماناً وإسلاماً.

م (١٧) : أساس التوحيد :

التوحيد العلمي (الربوبية) : أساسه قائم على إثبات الكمال لله .

التوحيد العملي (الألوهية) : أساسه قائم على تعظيم الله والذل له وحبه والخوف منه ورجائه والتوكل عليه والتوجه لله وتجريد القصد والطلب والتعلق لله وحده ، وتعبيد القلب والجوارح لخالقها.

م (١٨) : تفسير النبي ﷺ لشهادة التوحيد :

قال رسول الله ﷺ: (بُني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج وصوم رمضان) البخاري .

وفي رواية: على أن يوحد الله.

وفي رواية : على أن يُعبد الله ويكفر بما دونه .

وفي رواية : (إيمان بالله ورسوله)

فانظر كيف فسر النبي ﷺ التوحيد بالشهادتين وعبادة الله وحده وترك الشرك والكفر بالطاغوت والإخلاص والإيمان والإسلام .

وقد سمى الله التوحيد والعبادة إيماناً وإسلاماً. كما فسر الإسلام والإيمان بالتوحيد والشهادتين والإخلاص وعبادة الله وحده وترك الشرك والكفر بالطاغوت. ففسر الإسلام بالإيمان وبالتوحيد . وفسر الإيمان بالإسلام وبالتوحيد .

م (١٩) : ورود التوحيد في النصوص:

منها قوله تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ البقرة: ١٦٣ ﴿ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٩.

وجاء التصريح بلفظ التوحيد في السنة من ذلك:

١- قول الرسول ﷺ لعمر ﷺ : (أما أبوك فلو كان أقر **بالتوحيد** فصمت وتصدقت عنه نفعه ذلك) رواه أحمد وصححه الألباني .

٢- قال جابر ﷺ عن سورة الإخلاص حين قرأها الرسول ﷺ خلف المقام : (وقرأ فيهما **بالتوحيد** وبـ ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾) رواه أبو داود .

فسورة ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تسمى سورة الإخلاص وسورة التوحيد .

٣- حديث جابر: (فأهل **بالتوحيد** لبيك اللهم لبيك) رواه مسلم .

وورد اسم التوحيد عند السلف ومن ذلك :

صنف الإمام ابن خزيمة كتاباً في الصفات وأسماه التوحيد .ومثله ابن سريج وابن مندة . وقبلهم البخاري في صحيحه عقد كتابا أسماه كتاب التوحيد .

م (٢٠) : من أسماء الله تعالى الواحد الفرد الأحد.

ومعناه أنه هو وحده ﷻ إله واحد لا ثاني له ، ولا شريك، ولا مثيل .

م (٢١) : الفرق بين الربوبية وتوحيد الربوبية والألوهية وتوحيد الألوهية :

الربوبية صفة من صفات الله، والتوحيد والشرك صفة العبد .

م (٢٢): أركان التوحيد :

التوحيد قائم على ركنين النفي والإثبات : وهما ركنا شهادة أن لا إله إلا الله .

الركن الأول : النفي :

النفي والإنكار: وهو الموجود في : لا إله .وهو نفي استحقاق العبادة عن كل ما سوى الله ﷻ والكفر بعبادة من دونه،والخلوص من الشرك والبراءة من أهله، وخلع الأنداد والمعبودات والآلهة .

وأيضا نفي الربوبية والكمال والربوبية والألوهية والتعظيم عن كل مخلوق .

الركن الثاني الإثبات : وهو الموجود في : إلا الله .

إثبات العبادة والدين والألوهية والربوبية والكمال لله وحده دونما سواه.

وليعلم أن ذلك مشتق من أصل اللغة فالتوحيد في أصل اللغة لا يطلق إلا على مصطلح يقوم على النفي والإثبات ومثله الإفراد والوتر وأسلوب الحصر .

فالتوحيد له ركنان هما الإثبات والنفي، فلا يسمى الشيء مفرداً أو إفراداً أو توحيداً أو تجريدا أو إخلاصا إلا إذا قام على ركنين هما الإثبات مع النفي .

م (٢٣) : أركان التوحيد من حيث محله وآلته:

الركن الأول : قول القلب وذلك بمعرفة الله ﷻ وتصديقه .

الركن الثاني : عمل القلب وذلك يتحقق بـالإقرار بوحدانيـة الله ﷻ وإفـراده بجميع أنواع العبادات القلبية مـحبته ومهابته والذل له والخضوع له وتعظيمه .

الركن الثالث : قول اللسان ويكون بالنطق بالتوحيد وذكر الله وسؤاله .

الركن الرابع : عمل الجوارح، ويتحقق بالقيام له ﷻ بالتوحيد بالبدن .

م (٢٤) : أقسام التوحيد :

ينقسم التوحيد إلى أقسام باعتبارات : ومثله الشرك الذي هو ضد التوحيد .

التقسيم الأول : ينقسم باعتبار آلاته وأركانه إلى عملي واعتقادي وقولي .

١ – التوحيد القولي اللساني : قول لاإله إلا الله ودعاء الله وتسبيحه.

٢– التوحيد الاعتقادي الباطني القلبي : (قولي وعملي)

الاعتقادي القولي المتعلق بقول القلب: التصديق والمعرفة بالله واليقين بالله .

الاعتقادي العملي المتعلق بعمل القلب: كالمحبة والخوف والتوكل والتعظيم.

٣– التوحيد العملي الظاهر المتعلق بالجوارح: كالقيام والسجود والذبح .

التقسيم الثاني: أقسامه باعتبار نوعه وجنسه :

توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات .

والبعض يسمي الثاني والثالث بالتوحيد العلمي الخبري أو المعرفة والإثبات .

والبعض يضيف على الأنواع الثلاثة توحيد المتابعة وتوحيد الحاكمية.

التقسيم الثالث : أقسامه باعتبار من يقوم به ويتعلق به .

توحيد متعلق بالله وهو الخاص بصفاته تعالى وأفعاله ووحدانيته القائمة به .

توحيد متعلق بأفعال المخلوق وهو أن يعبد الله وحده .

فلا يقوم في قلبه وجوارحه تعظيم وذل وخضوع لغير مولاه المنعم عليه وربه المتفضل عليه والمحسن إليه والقادر على نفعه وضره والقائم على مصالحه .

التقسيم الرابع : وينقسم باعتبار من يتصف به :

١ - توحيد المرسِل:وهو الله ﷻ ، وتوحيده يكون في ألوهيته وذلك بعبادته وحده، وفي ربوبيته وأفعاله وأسمائه وصفاته،وهذا مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله.

٢- توحيد المرسَل وهو الرسول ﷺ : ويسمى توحيد المتابعة .

وذلك بإتباع الرسول ﷺ وطاعته وتحكيمه وتقديم أمره وتصديقه ومحبته، وهذا مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله .

التقسيم الخامس: ينقسم باعتبار أهميته إلى توحيد كمال وتوحيد أصل .

م (٢٥) : تقسيم التوحيد أمر استقرائي دلت عليه النصوص:

كما قررنا سابقاً أن لفظ التوحيد مصطلح شرعي جاء في السنة و عبارات الصحابة فكذلك أقسامه هي الأخرى شرعية سلفية ليست بدعية خلفية، كما يقول المبتدعة المتكلمون والأشعرية والصوفية الضالون، كما أنه ليس من مخترعات ابن تيمية كما يزعمون بل وردت هذه الأقسام في لسان السلف في القرون المفضلة كما سنأتي على كلامهم .

وقد دل على أصل هذا التقسيم القرآن والسنة .

ومن الآيات الجامعة لأنواع التوحيد والدالة على التقسيم :

الأولى: سورة الفاتحة فيها تقرير لأقسام التوحيد قال تعالى:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾.

الثانية: قوله في سورة الناس: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ مَلِكِ ٱلنَّاسِ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾.

الثالثة: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ مريم .

الجملة الأولى: دلّت على توحيد الربوبية وهي التي وردت في:

قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ وقوله: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ وقوله: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾.

الجملة الثانية: دلّت على توحيد الألوهية والعبادة وهي الواردة في قوله تعالى:

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ﴾.

الجملة الثالثة دلّت على توحيد الأسماء والصفات وهي الواردة في قوله تعالى:

﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾ ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾.

م (٢٦) : ورود تقسيم التوحيد في كلام السلف وأهل العلم:

كما أنه قد وردت لغة تقسيم التوحيد على لسان السلف وكلامهم ومن ذلك .

قال الإمام أبو حنيفة في الفقه الأبسط : (والله يدعى من أعلى لا من أسفل لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء) .

وروى ابن مندة في كتابة التوحيد عن القاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة قوله :(إنما دل الله ﷻ خلقه بخلقه ليعرفوا أن لهم رباً يعبدوه ويطيعوه ويوحدوه).

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي ت ٣١١ في عقيدته :(نقول في توحيد الله : إن الله واحد لا شريك له ولا شيء مثله ولا شيء يعجزه ولا إله غيره) .

وهذه أنواع التوحيد الثلاثة الأسماء والصفات والربوبية والألوهية .

قال الإمام ابن بطه العكبري المتوفى سنة ٣٩٧هـ في كتابة الإبانة :(وذلك أن أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء :

أحدها : أن يعتقد ربانيته، ليكون بذلك مبايناً لمذهب أهل التعطيل .

ثانياً : أن يعتقد وحدانيته ليكون، مباينا لمذهب أهل الشرك الذين آمنوا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره .

ثالثا: أن يعتقده موصوفاً بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفاً بها).

وقال ابن حبان صاحب الصحيح في مقدمة روضة العقلاء : (الحمد لله المنفرد بوحدانية الألوهية المتعزز بعظمة الربوبية).

قال الإمام ابن كثير عند آية قل من يرزقكم: (احتج على المشركين باعترافهم بوحدانية ربوبيته على وحدانية ألوهيته، وكيف تصرفون العبادة لغيره وأنتم تعلمون أنه الذي خلق كل شيء والمتصرف في كل شيء) .

وقال المقريزي الشافعي في كتابه التوحيد : (ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون بل اقروا به ..وإنما أنكروا توحيد الألوهية).

وقال ابن أبي العز شارح الطحاوية : (التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع: أحدها الصفات، والثاني توحيد الربوبية، والثالث توحيد الألوهية وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لاشريك له).

وقال الإمام الصنعاني في تطهير الاعتقاد : (الحمد لله الذي لا يقبل توحيد الربوبية من العباد حتى يفردوه بتوحيد العبادة كل الإفراد).

م (٢٧) : التوحيد أصل وكمال :

أصل التوحيد ومطلق التوحيد . المصحح للإيمان والإسلام:

وهذا المعتبر بدخول الجنة والمنجي من النار والفاصل بين المسلم والكافر المشرك وهو مقتضى الشهادتين والإيمان بالله .

كمال التوحيد المطلق :

وهذا يتفاضل الناس فيه ويزيد وينقص في قلب كل مؤمن وتاركه يعتبر موحداً ولا يعتبر كافراً وهو على درجات منه الواجب الذي يعاقب مخالِفُه مع بقاء أصل التوحيد ووصف الإسلام، ومنه المستحب الذي يثاب فاعله ولا يعاقب المقصر فيه، ومن هذا النوع ترك سؤال الناس مطلقاً كما كان عليه بعض الصحابة .

قوله : (كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦ .) .

م (٢٨) : الغاية التي خلق من أجلها الناس والجان هي عبادة الله وحده .

واللام في ليعبدون لآم التعليل أي لأجل أن يعبدوني .

ويعبدون : أي يوحدوني في العبادة .

م (٢٩) : لا تصح الألوهية ولا تقبل العبادة إلا بالتوحيد :

وهذه القاعدة من أعظم ما بعثت به الرسل فإن عبادة الله لا تنفع إذا لم تكن لله وحده واجتنب العابد الشرك وتبرأ منه وكفر بكل معبود سواه . والعبادة لا يلتفت الله إليها ولا يقبلها بل ولا يسميها عبادة إلا إذا كانت مقترنة بالتوحيد له ولم يقارنها شرك. فمن عبَدَ الله وعبَد غيره لم تنفعه عبادة الله ولم تقبل وحبط عمله.

قال ابن عباس رضي الله عنهما عند قوله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ قال إلا ليوحدون .وقال : ما جاء الأمر بالعبادة إلا وأريد بها التوحيد .

ولهذا لما قال مشركوا قريش للنبي ﷺ نعبد الله وحده سنة وتعبد آلهتنا سنة لم يقبل منهم ونزل فيهم سورة الكافرون.

م (٣٠) : تارك العبادة والألوهية كافر :

العبادة منها ما تركه كفر كالصلاة والتوحيد ومنها ما تركه محرم كالفروض والواجبات والأركان ومنها ما تركه لا يعاقب عليه كالمستحبات .

ومن ترك العبادة بالكلية فهو كافر: قال تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ غافر: ٦٠ . وداخرين أي صاغرين، وكان الجزاء هنا من جنس العمل، فحين استكبروا وأبو ولم ينقادوا ويذلوا ويخضعوا لله استكبارا عاقبهم بالإذلال والصغار والهوان. وتارك العبادة وقع في كفر الإعراض، وفي كفر الإباء والاستكبار والامتناع، وافتقد صاحبه شرط الانقياد الذي هو العمل والإذعان ويسمى الإسلام وهو من شروط لا إله إلا الله.

وخالف في هذا الأصل المرجئة فجعلوا تارك الأعمال والعبادة وجنس العمل مؤمن لا يكفر ، لأصلهم أن الأعمال ليست ركن في الإيمان وإنما شرط كمال.

قوله : (وخلقهم أيضاً لمعرفته ، كما قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ الطلاق: ١٢ .) .

م (٣١) : ذكر الشيخ رحمه الله علتين من أجلها خلق الخلق :

الأولى : عبادة الله وحده .

الثانية : معرفة الله تعالى والعلم به .

ومما يدل على أن الله ﷻ خلق الناس ليعرفوه قوله تعالى في الآية التـي أوردهـا ﴿ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ .

م (٣٢) : المعرفة :

المعرفة ضد الجهل وضد الإنكار (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها).

المعرفة النافعة ما كانت على علم صحيح و أثمرت العمل واليقين والمراقبة.

أما المعرفة المجردة التي لا تستلزم العمل بآثار صفات الله ويصاحبها تـصديق القول العمل فليست بنافعة .

م (٣٣) : معرفة الله خلاصتها يقوم على معرفـة ربوبيـة الله وأفعالـه وأسـمائه وصفاته . وهو المعروف بتوحيد الأسماء والصفات .

وقاعدته تقوم على إثبات ما أثبته الله لنفسه ونفي ما نفاه عن نفـسه ، مـن غـير تعطيل ولا تمثيل ولا تمثيل ولا تكييف ولا تفويضٍ للمعنى ولا تحريف.

وأما دعوى المعرفة التعطيلية كمعرفة معطلي الصفات فهذا جهل بـالله ولـيس علم به ، والله جعل معرفته مقترنة بمعرفة أسمائه وصفاته .

م (٣٤) : حقيقة توحيد الأسماء والصفات والربوبية مبني على أصلين :

الأول : تنزيه الرب ﷻ عن مشابهة الخلق ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾ .

الثاني: الإيمان بما وصف الله به نفسه من الكمال ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ .

فهذان الأصلان بينها الله ﷻ وجمع بينهما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ الشورى: ١١ .

م (٣٥) : **علاقة أسماء الله وصفاته وأفعاله بربوبيته :**

أسماء الله وصفاته وأفعاله من الربوبية فكل اسم لله وصفة تمثل ربوبية الله.

كما أن الربوبية وأفعالها من صفات الله ﷻ . فالخلق والرزق من صفات الله .

م (٣٦) : **الفرق بين أسماء الله وصفاته وأفعاله وربوبيته :**

١ – أسماء الله هي أعلام له مثل الإله الرب والرحمن والرزاق والقدير والملك.

٢ – الصفات هي ما يوصف الله بها كالألوهية الربوبية الرحمة الرزق القدرة.

٣– أفعال الله مثل الخلق والرزق والإحياء والإماتة والرحمة والنزول فهو يخلق ويرزق ويرحم فهذه كلها أفعال لله تعالى ، وتسمى الصفات الفعلية .

٤ – الربوبية تشمل أربعة أمور: وجود الله وأسمائه وصفاته وأفعاله .

والقاعدة أن كل اسم لله له صفة وليس كل صفة لها اسم مثل الاستواء والكلام فليس من أسماء الله المستوي والمتكلم .

وكل فعل له صفة وليس كل صفة لها فعل مثل صفة الوجه واليدين والجمال وغير ذلك ، فهي من الصفات الذاتية وليست من الفعلية.

وذهب البعض إلى وجود أفعال لا يوصف الله بها مثل الاستهزاء والمكر والتردد ونحوها وكذلك وجود صفات لا أفعال لها، وهذا الخلاف ناشئ على الخلاف اللغوي، هل أصل الاشتقاق الصفة أو الفعل .

والصحيح أن الصفات على قسمين :

١ - صفات فعلية : فكل فعل يعتبر صفة، فالاستهزاء فعل وهو صفة والحلف فعل وهو صفة، وأفعال الله منها المتعدية إلى مفعول كالخلق والرزق والكلام ، ومنها اللازمة كالاستواء والنزول والمجيء .

٢ - صفات ذاتية خبرية ليست فعلية: كصفة اليدين والعين والوجه والجمال.

ويلحق بذلك الحياة والعظمة والغنى والعزة وكذلك العلو والأولية .

قوله : (فأخبر إنه خلقهم ليعرفوه بأفعاله حتى يعبدوه على الوجه الذي أمرهم به).

م (٣٧) : توحيد الربوبية والأسماء والصفات يستلزم توحيد الألوهية وعبادة الله وحد . وسيأتي بيان لهذه المسألة .

م (٣٨) : **لا يستقيم توحيد الألوهية إلا بإثبات الصفات لله ﷻ** :

من اختل توحيده في الصفات وأخل بنسبة الكمال لله وقع في الشرك في الألوهية لزاماً ، ولا يتم توحيد الألوهية إلا بتوحيد الأسماء والصفات وإثباتها لله على الحقيقة كما جاء في النصوص وعدم تعطيلها . ومن وقع في شرك الأسماء والصفات لا بد له من حصول الخلل في الألوهية، وهذه القاعدة منضبطة لا تنخرم.

مبحث العبادة

قوله : (**وحقيقة العبادة** : هي كمال المحبة والخضوع والتذلل لله ، بما شرعه الله على لسان رسله) .

م (٣٩) : تعريف العبادة:

في اللغة : العبادة مشتقة من عبد يعبد عبادة وعبودية وتعبد ومتعبد ومستعبد .

ومعناها : الذل واللين والخضوع والخشوع والاستكانة والطاعة والاستسلام والانقياد والإذعان والإدانة .

فالعبادة هي الطاعة والذل والخضوع على وجه التعظيم .

العبادة قد ترادف لفظ الطاعة والإسلام والألوهية والدين والشريعة .

وتطلق العبادة على : أمر الله ودينه ، وعلى فعل العبد لذلك الأمر.

ومعنى العبادة في الشرع :

الأول:كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

الثاني: فعل ما أمر الله به امتثالاً وترك ما نهى عنه على وجه الطاعة والامتثال .

الثالث: كمال الذل والخضوع مع كمال المحبة. وهذا تعريف ابن القيم .

وضابط العبادة : كل ما أمر الله به أو أحبه ورضيه أو رغب فيه ، واختص به.

عبودية القلب تستلزم عبادة الجوارح .

م (٤٠) : أقسام العبادات :

منها القلبية والقولية والعملية.

ومنها الفعلية : بفعل الواجب والتركية بترك المحرم .

ومنها البدنية والمالية.

ومنها المشروعة وهي الموافقة لأمر الرسول ﷺ وهديه .

ومنها المبتدعة وهي التي لم يأمر الله ﷻ بها أو جاء الأمر بخلافها .

ومنها الشركية : هي التي يعبد بها غير الله ﷻ.

م (٤١) : **شروط صحة العبادة :**

الإخلاص لله ﷻ والتوحيد وهذا مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله المتابعة لرسوله ﷺ وهذا مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله .

م (٤٢) : **أسماء المعبود بحق أو باطل :**

الرب الإله المعبود والمدعو الشفعاء الشريك والشركاء الوسائط المقربة الأصنام الأوثان التماثيل.

م (٤٣) : من عبد غير الله ﷻ ودعاه، فقد عبد الشيطان على الحقيقة، لأن هذا الشرك من أمر الشيطان فمن أطاعه فقد عبده كما قال تعالى ﴿ وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴾ النساء: ١١٨ ﴿ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾.

م (٤٤) : **أنواع العبودية :**

١- العبودية العامة: ويشترك فيها كل الخلق المؤمن والكافر، وهذه عبودية الربوبية، يدل لها قوله: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ مريم:٩٣.

٢- العبودية الخاصة : وهي المتعلقة بالمؤمنين وهي عبادة الألوهية ويدل لها قوله تعالى ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ الفرقان: ٦٣.

فالعبودية بنوعيها مثل الربوبية العامة والخاصة والإسلام العام والخاص .

م (٤٥) : **قيام العبادة والألوهية على ثلاثة أمور :**

١ – عبادة الله وحده .

٢ – عبادته بما شرعه لنا رسوله و بمتابعة رسوله .

٣ – الكفر بعبادة ما سواه .

م (٤٦) : **علاقة العبادة بالمسميات الشرعية :**

أولا: الفرق بين الطاعة والعبادة :

١ – أن العبادة لا تكون إلا لله أما الطاعة فتكون لله ولغيره مثل طاعة الزوج والوالدين وأولي الأمر . فالطاعة تصرف للمخلوق أما العبادة فلا تصرف إلا لله . فيقال طاعة الله وطاعة الوالدين ولا يقال عبادتهم. **فالله تفرد بالعبادة دون الطاعة.**

قال ابن تيمية : (باب الطاعة والتصديق ينقسم إلى مشروع في حق البشر وغير مشروع، وأما العبادة والتأله فلا حق فيها للبشر بحال) ١/ ٩٨ .

٢ – أن الطاعة تدخل في العبادة في الجملة فكل طاعة لله هي عبادة لا العكس لأن الطاعة هي تنفيذ أمر وموافقته وامتثاله، والعبادة أعم فقد يكون سببها فعل مأمور به وامتثال أمر وقد تكون مجردة عن أمر كالتفكر في عظمة الله ومحبته ، وإن كانت عبادة الله أمر الله بها فهي طاعة في الجملة .

قال ابن تيمية في شرح العمدة في كتاب الصيام : (الطاعة موافقة الأمر وهذا يكون بما هو في الأصل عبادة كالصلاة وما كان في الأصل غير عبادة وإنما يصير عبادة بالنية كالمباحات الأكل والنوم بخلاف العبادة فإنها التذلل للإله كذلك فما لم يؤمر به من العبادات وإنما رغب فيه هو عبادة وإن لم يكن طاعة) .

٣- العبادة لابد أن يقارنها الذل والخضوع والمحبة والمعرفة بخلاف الطاعة.

قال ابن تيمية: (الطاعة هي الفعل الواقع على حسب ما أراده صاحب الأمر، أما العبادة فهي المتضمنة لغاية الذل والخضوع مع غاية الحب فمن خضع لشخص مع بغضه له لم يكن عابدا له وكذا إذا أحبه ولم يخضع له). الفتاوى ١٠/ ١٥٣.

٤- أن العبادة يلزم منها أن يكون العابد مطيعا لمن عبده .

قال سليمان بن عبدالله في تيسير العزيز الحميد: (تفسير العبادة بالطاعة من التفسير باللازم، فإن لازم العبادة أن يكون العابد مطيعا لمن عبده بها).

٥- أن الشرك يكون في الطاعة ويكون في العبادة ، والذي في العبادة أشمل وكله شرك أكبر. أما طاعة المخلوق في معصية الله فمنها طاعة معصية ومنها طاعة شركية كفرية مخرجة من الملة .

قال قتادة في آية شرك التسمية المنسوب لآدم: (شركا في طاعته ولم يكن شركا في عبادته، وشركاء في طاعته لا في عبادته).

ثانيا : علاقة العبادة بالإسلام :

الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص والبراءة من الشرك وأهله فالإسلام هو بمعنى الانقياد والإذعان والالتزام والتسليم بالمعنى العام وهو بذلك يدخل في عموم العبادة . فلا يوجد شيء من الإسلام إلا وهو داخل فيها كما أن العبادة الشرعية داخلة في الإسلام .قال ابن كثير في التفسير: (وعبادته هي طاعته بفعل المأمور وترك المحظور وذلك هو حقيقة دين الإسلام لأن معنى الإسلام الاستسلام لله تعالى المتضمن غاية الانقياد والذل والخضوع).

ثالثا : علاقة العبادة بالتوحيد:

التوحيد صفة وحال للعبادة فالعبادة إذا لم تصرف إلا لله فهي توحيد، فيقال العبادة لها صفات أن تكون بالتوحيد وتكون خالصة وعلى وفق الشرع والاتباع .

كما يقال التوحيد الذي هو الشهادتين والإخلاص وتعظيم الله يدخل في العبادة فهو أفضل العبادات وفي الحديث (الإيمان بضع وسبعون شعبة فأعلاها قول لا إله إلا الله) . فالعبادة أعم من التوحيد فكل من وحد الله فقد وعبده وليس كل من عبد الله موحدا فقد يعبد الله ويعبد غيره شركا .

رابعا: علاقة العبادة بالدين :

الدين أصله من الانقياد والذل وما يتدين به المرء ويلتزم به ، فهو قريب من معنى الإسلام ويدخل في عموم العبادة كما قاله ابن تيمية في العبودية.

وقد يكون الدين على غير وجه التعبد فيقال مثلاً الدمقراطية دين الغرب فهو بمعنى المنهج والطريقة وليس من باب التعبد .

والدين مثل العبادة منه الحق وهو دين الإسلام والباطل كدين المشركين .

م (٤٧) : قيام العبادة والألوهية على ثلاثة أصول :

١ – تعظيم الله ﷻ وإجلاله والمهابة منه وخوفه.

٢ – غاية الذل لله ﷻ والخضوع له ومهابته والانكسار له واللجوء إليه .

٣– غاية المحبة لله ﷻ.

وكل العبادات القبلية أو البدنية مبناها على الذل والخضوع والتعظيم : ويوجد فيها هذا المعنى اللغوي القائم على الذل والخضوع والانقياد والتعظيم والانكسار لله ﷻ، فأي عبادة لو تأملها العبد لوجدها تقوم على الذل لله ﷻ والخضوع له، ووجد الغاية منها إخضاع العبد لربه تعالى والتذلل لخالقه وانكساره لمولاة والتجائه إليه وتعظيمه له . فما خلقنا الله إلا لنعبده ونذل له ونخضع بين يديه ونعظمه، ونتقرب إليه ونتحبب إليه فكل عبادة شرعها الله لنا وأمر بها لتزيدنا من شرف العبودية والرق والذل والخضوع لربنا العظيم الغني الحميد .

م (٤٨) : **أطراف العبادة** : لا تتم العبادة إلا بقيام المحبة والخوف والرجاء.

وقد أثنى الله ﷻ على من جمع بينهما في مواضع من كتابه العزيز فقال تعالى:﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ الأنبياء: ٩٠ ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ الأعراف: ٥٦ ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ الإسراء: ٥٧ ﴿ يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ الزمر: ٩.

م (٤٩) : **حاجة الإنسان للعبادة وكونه مفطور على التعبد والتدين:**

عبادة الله فوق كل ضرورة ولابد للمخلوق من العبادة ومن لم يعبد الله عبد غيره لا محالة . وحاجة الخلق لعبادة الله أعظم من حاجتهم لربوبية ربهم لهم .

وصلاح الإنسان وحاجته وفرحه وسعادته في عبادة ربه، فلا بد للمخلوق من عبادة إما لله وإما لغيره وهل سمي جميع الخلق عبيد الله إلا لذلك.

م (٥٠) : **انقلاب العادات والمباحات لعبادات :**

قد تصير العادة عبادة وذلك بالنية ومن هذا:قول النبي ﷺ : (وفي بضع أحدكم صدقة). وقول أبي هريرة ﷺ : (إني لأحتسب على الله نومتي وقومتي) .

م (٥١) : لماذا استحق الله تعالى العبادة دونها سواه ؟:

الأول: لكماله المطلق من جميع الوجوه بلا نقص، ومن هذا الكمال أنه متصرف قادر خالق عالم بكل شيء، وكماله في قدرته وغناه وعلمه وقيامه على كل شيء، وجماله الكريم وإنعامه على خلقه ورحمته بهم ومحبته لأوليائه. وهذا يستوجب أمرين:

الأول : أن الكامل يستحق أن يعبد وتجب له العبادة. ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾ الزخرف: ٨١ أي أنه لو كان للرحمن ولد كما زعم المشركون لصحت عبادة هذا الولد، لأنه لو كان لله تعالى ولد لكسب صفات والده من صفات الكمال، فاستحق العبادة، ولمّا كان هذا مستحيل، فالولد منتفي عن الله انتفت العبادة عن غير لله .

الثاني : أن المعبود لابد أن يكون كاملاً وإلا فعبادته باطلة لا فائدة منها بل فيها الضرر كما أخبر تعالى في سورة الحج في قوله: ﴿ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ ﴾ وهذا حق دل عليه العقل والشرع أن من يُدعى ويُسأل لا بد أن تكون له القدرة على إجابة من دعاه ورجاه ويملك نفعه ودفع الضر عنه وإلا كانت دعوته وعبادته خسارة . ولا يصح أن يكون لله شريكا في العبادة لعدم وجود الكمال فيه .

فالنتيجة أنه لا كامل غير الله ﷻ وبالتالي فلا يستحق العبادة أحد سواه، لأنه لا يمكن أن يعبد إلا الكامل والكامل لابد أن يعبد، ولا كامل مطلقاً إلا الله فيجب أن تكون العبادة له وحده.. وقد قرر سبحانه في كتابه هذا الأصل وأفحم به أهل الشرك في آيات كثيرة،فلا يستوي الكامل والضعيف ومن يخلق ومن لا يخلق .

الثاني: لجماله ﷻ فله الجمال المطلق من جميع الوجوه.

الثالث : لإنعامه ﷻ على خلقه وتفضله على عباده ولعظيم نعمته على خلقه فكل خير منه ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ النحل: ٥٣ ، فهو المنعم وحده ولهذا استحق المحبة والعبادة وأن يدعى ويلجأ إليه وحده.

الرابع : لأنه ﷻ النافع الضار وحده ، فهو القادر أن ينفع ويضر والمتفرد وحده بذلك . قال تعالى مبينا هذا الأصل أن النفع والضر بيده وحده وأن المعبودات لا تملكه : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴾ الفرقان: ٥٥.

الخامس : لكمال غناه ﷻ وفقر كل مخلوق إليه فلا غنى لأحد عنه فهو الغني الحميد والصمد الكريم المجيد .

السادس : لكمال رحمته بخلقه ولطفه بهم ولعلمه بما يحتاجونه وما ينفعهم، ولا يمكن أن توجد هذه الصفة ولا ما سبقها من الصفات في أي مخلوق قال تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ يونس: ١٨ .

السابع : استحق ربنا ﷻ أن يُعبد أنه وحده الخالق وغيره لا يخلق فمن يخلق يجب أن يُعبد ومن لا يخلق لا يستحق أن يُعبد . ومن أدلة أن المعبود لابد أن يكون خالقا ، قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ فاطر: ٤٠ ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ الأحقاف: ٤ ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾ الفرقان: ٣ ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ الزمر: ٣٨ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ﴾ الحج: ٧٣ ﴿ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ الرعد: ١٦ ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ الأنعام: ١٠٢.

قال ابن القيم :(فإن الإله الحق لابد أن يكون خالقا فاعلا يوصل إلى عابده النفع ويدفع عنه الضر) مختصر الصواعق ٧٢ .

لذلك كله استحق ربنا أن يحب ويجل ويعظم ويرجى ويهاب ويخاف منه ومن كانت هذه حاله وجب أن يدعى وحده ويلتجئ إليه وحده ويتوكل عليه دون غيره سبحانه. واستحق الله تعالى العبادة دونها سواه والإفراد بالألوهية والتوحيد ، لأمور لا توجد في غيره ﷻ ومن لم تكن فيه هذه الصفات فإنه لايستحق أن يعبد .

م (٥٢) : أسباب العبادة الشركية التي نفاها الله ﷻ :

قطع الله الأسباب التي يتعلق بها المشركون عباد الأوثان الملك والشراكة والمظاهرة والمعاونة والشفاعة ، وقد بينها الله تعالى في آية سبأ في قوله: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾.

م (٥٣) : مفاسد عبادة غير الله :

١ – أن فيها التجاء وتوجه وافتقار لغير الله .

٢ – أن فيها إهانة العبد لنفسه حين يترك عبادة الله إلى عبادة مخلوق مثله.

٣– تضييع لمعنى العبودية لله التي هي أشرف صفات العبد وأعلى مقاماته .

٤ – أن فيه هضم لحق الربوبية وإبطال لمقتضياتها وترك تعظيم الرب وسؤاله .

٥- نسبة الألوهية للمخلوق ووصفه بالربوبية والكمال واستحقاق للعبادة .

٦- تنقص جناب الربوبية وذلك بترك عبادته لأن غيره أنفع وأقدر وأجوب.

٧- أن فيها شكاية الرب الرحيم على المخلوق، وكأن حال الداعي يقول تركنا دعاء الله لعدم فائدته ولجئنا إلى من يرحمنا ويقدر على كشف ضرنا ويعلم بحالنا.

٨- أن فيه إساءة الظن بالله وعدم تقديره.

٩- أن فيه تشبيه الخالق بالمخلوق وذلك باعتقاد أنه محتاج لواسطة تشفع عنده، كما أن فيه تشبيه المخلوق بالخالق وذلك بإعطائه صفات الألوهية وأنه يدعى.

١٠- أن دعاء وعبادة غير الله من الشرك المخرج عن الإسلام والكفر البواح .

١١- تفويت الخير من الله والثواب وإجابة المطلوب .

١٢- خسران رضا الله تعالى والجنة وإيجاب سخطه والنار.

١٣- أن من دَعا غير الله فقد عظم وخضع وذل وأنكسر وافتقر لمخلوق مثله، لأن الداعي يقبل على مدعوه بقلبه ووجه رغبة إليه ورهبة منه ورجاء له.

١٤- من دعا غير الله ﷻ فإنه لم يعط اسم الله الرحيم والعليم والقدير حقها.

١٥- أن دعاء غير الله واعتقاد أن هذا مما أمر الله به وشرعه في غاية الافتراء والكذب على الله وهو من أشنع الظلم والعدوان والافتراء على الله وعدم تقديره.

١٦- أن في دعاء الأولياء والصالحين وطلب الشفاعة منهم عدوان عليهم .

١٧- بطلان وفساد وضياع عبادتهم ودعائهم وتشفعهم لمعبوداتهم الباطلة، وأن ضررها أقرب من نفعها ، وأن المعبود المدعو بأنه لا يستجيب ولا يسمع ولا يملك شيئاً وأنه مخلوق وأنه غافل فالعبادة والمعبود والعابد كل ذلك في ضلال .

قوله : (الدعاء، والصلاة، والصيام، والإنابة، والخشية، والتوبة، والنـذر، والحلف، والتسبيح، والركوع والسجود، والحج) .

م (٥٤) : العبادات ثلاثة أقسام :

الأول : العبادات القولية :

الدعاء : دعاء غير الله بطلب المخلوق وسؤاله والتوسـل إليـه والاسـتغاثة بـه وطلب الشفاعة منه. وهذا يوجد عند كل المشركين ولذلك جاء في كتاب الله كثيراً .

الصنف الثاني :شرك المدح والـشكر والثنـاء والحمـد : ويتبـع ذلـك : الـذكر والتسبيح والتقديس والتنزيه والاستغفار والتحية والحلف.

الشكر مبني على خمس قواعد : خضوع الشاكر للمشكور وحبه لـه واعترافـه بنعمته وثناؤه عليه بها ألا يستعملها في ما يكره . قاله ابن القيم .

وهذا الشرك يعرض الكثير عن ذكره ولم أر من أفرده ببيان مع انتشاره وتنوعه وكثرته وكون كثير من الناس يقع فيه . وقد فصلنا القول فيـه في أقـسام الـشرك فيـه لأكبر وأصغر، وحالات وأقـسام مـدح المخلـوق والثنـاء عليـه ، ودرجـات الحمـد والثناء ، والفرق بين الحمد والـشكر والمـدح والثنـاء ، وتـرابط الحمـد والـذكر مـع العبادة ودخول كل منها في الآخر . في شرحنا على النواقض .

القسم الثاني : شرك التقرب والتنسك بالجوارح :

العبادات البدنية : القيام والركوع والسجود والصلاة والاعتكاف والمجـاورة والطواف والتقبيل والتمسح والتجرد من اللباس وحلق الرأس والإحـرام والتـبرك والذبح والنذر والتجرد من الملابس وحلق الشعر والصيام .

كل هذه الأمور والأفعال عبادات يحبها الله تعالى ويرضاها وكلها مقربة إليه وفيها صفة التعظيم للرب والخضوع من العبد ولذلك أمر الله بها وأثنى على المتصفين بها وذم من صرفها لغير الله وحكم بكفره وشركه .

والجامع لهذه العبادات :الخضوع والتذلل والتعظيم .

ومن العبادات البدنية من وجه :الحكم والتحاكم والطاعة .

القسم الثالث : العبادات القلبية :

المحبة : المقصود بالمحبة محبة الله ﷻ ومحبة ورسوله ﷺ ومحبة الدين ومحبة التوحيد ، ومحبة الموحدين وبغض ما خالف ذلك .

المحبة تستلزم جميع العبادات والعبادات بدونها غير مقبولة .

المحبة كغيرها من العبادات التي تزيد وتنقص ويتفاوت الناس فيها .

محبة الله تستلزم طاعة الله ومحبة ما يحبه الله واتباع الرسول ﷺ والولاء والبراء الكفر بالطاغوت وتكفير المرتدين:

الناس في محبة التوحيد أقسام: من يحب التوحيد وأهله ويبغض الكفر وأهله وهم أهل التوحيد ، من يحب الشرك أو أهله أو يبغض التوحيد أو أهله.

أقسام المحبة :

١ – المحبة الطبعية العادية الفطرية:كمحبة الوالد والولد والمال.

٢– المحبة التعبدية :وهي محبة الله المتصفة بالتذلل والخضوع.

٣– المحبة اللزومية : وهي المحبة في الله ولله.

٤ –المحبة الشركية : وهي محبة الأنداد والمحبة التعبدية لغير الله .

عبادة الخوف :

أسماء الخوف ومعانيه : الخوف – الخشية – الرهبة – الوجل – الفزع – الذعر – الرعب – الفرق. وأكملها التقوى ثم الخشية والرهبة لأن التقوى ترك المعاصي خوفاً من الله فهي من آثار الخوف ومعانيه .

ومن آثار الخوف من الله ولوازمه : الإشفاق من عذابه والحذر من غضبه ومراقبة الله وترك عصيانه والإقبال على طاعته ومهابته والوجل من عدم القبول .

الفرق بين الخوف والخشية :

١ – الخوف خوف من الأثر والخشية خوف من المؤثر .

٢ – الخشية خوف وزيادة إذ فيها العلم بالمخاف منه والحذر منه وتعظيمه .

الفرق بين الخوف والرهبة :

١ – أن الرهبة تثمر عملاً واحتياطاً وأما الخوف فقد يثمر وقد لا يثمر .

٢ – أن الرهبة مدة أثرها طويل والخوف مدة أثره قصير .

أنواع الخوف :

١ – الخوف التعبدي التألهي : وهو الخوف من الله ومن وعيده وعقابه.

٢ – الخوف الشركي (خوف السر) : وهو صرف الخوف التعبدي لغير الله، فيخاف العبد من المخلوق في أمر لا يقدر عليه إلا الله .

٣ – الخوف المحرم : وهو ترك أمر الله وفعل معصيته مخافةً من المخلوقين .

٤ – الخوف الطبعي الجِبلّي كالخوف من السبع.

الرجاء :

أسماء الرجاء والألفاظ المقاربة له: الرغبة والأمل والتوقع والأمنية والبُغْية والطمع وحسن الظن . ويضاد الرجاء القنوط واليأس .

ويجب الجمع بين الخوف والرجاء .

التوكل :

المسألة الأولى : تعريف التوكل وحقيقته :

والتوكل على الله يكون بالاعتماد عليه سبحانه وتفويض الأمر إليه والالتجاء إليه والوثوق به، وعدم الالتفات واللجوء لغيره، والاستغناء به تعالى والاستكفاء به عن غيره في قضاء الحوائج، والثقة به، والاستعانة به والاستسلام له، والتعلق به، والرضى بقدر الله، والطمأنينة به والسكون إليه وقطع علائق القلب بغير الله .

ومن أسمائه : الحسب . التفويض .الاستكفاء .الاعتماد . التسليم . الثقة .

وينقسم إلى : التوكل التعبدي والتوكل الشركي وهو تفويض الأمر للمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله.

العبادات القلبية التي من جنس اللجوء إليه والتذلل لله :

تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ – التعظيم والتوقير والتقدير والإجلال . ويدخل فيه حفظه ومراقبته .

٢ – الذل والخضوع . ومما يدخل في هذا الجنس :الذل لله والخضوع له والإخبات له والسكينة أو الخشوع له والخنوع الاستكانة التضرع التواضع الاستخذاء الخنوع التقوى والسكون والإطمئنان والتواضع .

ومما يستلزمه هذا المعنى : الانقيـاد والإذعـان والامتثـال والالتـزام والطاعـة والإسلام والاستسلام والتسليم والإتباع والانصياع والتدين .

٣- التوبة والرجوع واللجوء . ومما يدخل في هذا الجنس : التوبة والإنابـة لـه والإوابة والإواهة والرجوع إليه وما في معنى هذا الباب وما في معنى هذه العبادة .

ومن العبادات القلبية المستلزمة التوبة والإقبال على الله عز وجل :

الرغبة والرهبة والتضرع والإنقطاع له والتبتل له والتورع له وترك أشياء مـن أجله وإرضائه والرغبة إليه والطمع فيما عنده وذكره والأنس به.

فائدة : هذه أجناس جـنس التـذلل وجـنس التوبـة والإوابـة وهـي كجـنس التوكل وجنس الخوف وجنس المحبـة وجـنس الرجـاء وجـنس الإخـلاص والنيـة وجنس الدعاء وجنس الصبر وجنس الشكر والثناء والمدح والحمد وجنس التنـسك فهذه أجناس العبادات التي ترجع فيها جميع العبادات القولية والقلبية والعملية.

ويضاد هذه العبادات :الكبر والإعراض والتولي والامتناع .

والجامع لهذه العبادات : الذل والخضوع والتعظيم والالتجاء لله تعالى .

م (٥٥) : **قاعدة :**

كل عبادة أمر الله أن يعبد بها فعلها المشركون مع آلهتهم ومعبوداتهم .

م (٥٦) : **قاعدة : ترابط العبادات :**

كل عبادة من العبادات تستلزم عبادات أخرى ولها علاقة ببقية العبادات .

م (٥٧) : **كل العبادات لها تعلق بالربوبية .**

قوله : (على الوجه الذي أمرهم به) .

وقوله : (بما شرعه الله على لسان رسله) .

م (٥٨) : هذه الجُمل أشار بها المؤلف رحمه الله إلى توحيد المتابعة وهو توحيد الرسول ﷺ وهو مقتضى شهادة أن محمدا رسول الله .

وتكون متبعة الرسول : بمحبته وتصديقه وطاعته وعدم مخالفته والاقتداء به ، وأن لا نعبد الله إلا بما شرع .

قال تعالى : ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ ﴾ الأعراف: ١٥٨

وقال ﷺ : (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) .

مبحث تـوحـيـد الألـوهـيـة

قوله : (هذا توحيد الألوهية ، المسمى توحيد العبادة).

م (٥٩) : اشتقاق الألوهية :

الألوهية والإلهية أصلها منتزع من الإله، وهي مشتقة من الفعل ألَه عـلى وزن فَعَلَ كفتح وهو بمعنى عبد والإله هو المعبود والألوهية معناها العبادة .

والياء والتاء في الألوهية هي للنسبة أي نسبة العبـادة لمـستحقها واختـصاص الحق فيها بالله ﷻ.

والمراد بتوحيد الألوهية : هو إفراد الله بالعبادة المتعلقة بأفعال العباد.

وتقدم تعريف التوحيد .

م (٦٠) : معنى الإله وصيغته واشتقاقه:

إله على وزن فِعَال بمعنى مفعول فهو إله بمعنى مألوه وهو المعبود .

وصيغة فعال التي بمعنى مفعول في اللغة لها أمثلة كثيرة منها :

كتاب بمعنى مكتوب وإمام بمعنى مأموم وفراش بمعنى مفروش.

والإله كذلك معناه المعبود ووجه ذلـك : أن الإلـه معبـود متألـه ولـيس هـو الفاعل العابد، فالإله ليس هو الذي يقوم بالعبادة ويفعلها ويصرفها وإنما تصرف لـه وتفعل له فهو معبود مألوه والمخلوق هو الآلة العابد فاعل للعبادة .

فالإله مشتق من فعل أَلَهَ بفتح اللام يأله إلاهة وتألها وألوهية بمعنى عبد يعبد عبادة وتعبداً. وتألها تعبد وألوهية عبودية وأَلَـهَ عبد ويأْله يعبد وإلاهة عبادة، والمتأله المتعبد والآلِه هو العابد والمألوه المعبود.

ويدل لهذا المعنى : شعر رؤبة بن العجاج :

(لله در الغانيات المدهي سبحن واسترجعن من تألهي) أي من تعبدي

قراءة ابن عباس :(ويذرك وإلاهتك) أي يترك عبادتكم وكان فرعون يعبد .

وكل معبود يسمى إله سواء عُبِد بحق وعدل وهو الله وحده لا شريك لـه، أو عُبِد بظلم وهذا كل معبود سوى الله إذ عبادته تعتبر باطلـة وظالمـه . وقـد سـمى الله المعبودات الباطلة آلـهة كالهوى والأصنام.

قال ابن عباس ﷺ : (**الله : ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين)** الطبري.

قال الطبري: فالإله هو المعبود وهو الله سبحانه، وهو على وزن فِعَـال بمعنـى مفعول مثل كتاب بمعنى مكتوب .

فالألوهية والعبادة بمعنى واحد وهي مـن المترادفـات : وأَلَـهَ وعَبَـدَ لفظـان مترادفان، ففعل العبادة هو نفسه فعل الألوهية اللذان هما التعبد والتأله .

فحقيقة الألوهية كل عبادة أمر الله بها ويثيب فاعلها .

والإله اسم جنس لكل ما يعبد :

قال الزمخشري في الكشاف : (الإله من أسماء الأجناس كالرجل والفرس يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم على المعبود بحق) .

وقد سمى الله ﷻ المعبودات آلهة وكل ما عبد إله في آيات كثيرة .

م (٦١) : **أسماء توحيد الألوهية :**

١- توحيد الألوهية والإلهية.

٢- توحيد العبادة: والألوهية هي والعبودية التي أمر الله بها ولا تنبغي إلا له.

٣- توحيد العباد : لكونه متعلق بأفعال العباد المخلوقين وتعبدهم .

٤- توحيد الإرادة والقصد والنية والطلب: لأنه متعلق بإرادة العبد وتوجهه ونيته وقصده لمن ينفعه ويدفع الضر عنه فيطلبه ويقصده،وكل هذا داخل في العبادة.

٥- التوحيد الطلبي القصدي :

لأنه قائم على طلب العبد من ربه وسؤاله ما ينفعه في دينه ودنياه وآخرته .

٦- توحيد العمل والفعل أو التوحيد العملي الفعلي :

لأنه متعلق بأعمال المكلف من عمل القلوب والجوارح واللسان .

٧- توحيد الشرع والأمر والنهي :

سمي بذلك لكونه متعلق بأمر الله للعباد وتشريعه لهم ما يعبدونه به .

٨- توحيد الغاية : لأنه الغاية التي من أجله خلق الخلق . ويأتي في مقابل توحيد الوسيلة وهو الربوبية لأنه وسيلة لتوحيد الألوهية الغاية .

م (٦٢) : **الأقوال في اشتقاق اسم الإله :**

١- الإله مشتق من (**وِلَاه**) وألَه ووله لجأ والتجأ واعتمد عليه وتضرع إليه .

٢- أنه مشتق من (**وَلاه**) من ولِه ألِه ولاه وتولها و الوله التولع والاشتياق.

٣- الإله مشتق من(**أَلِـهّتُ**) إلى كذا إذا سكنت إليه ، فالقلوب تسكن إليه

٤- أنه مشتق من (**لاه**) يلوه ، إذا احتجب واستتر .

٥- أنه مشتق من (**لاه**) يليه إذا ارتفع.

٦- أنه مشتق من (**وله**) ألِه وهو التحير.

وهذه المعـاني بعـضها صـحيح وداخـل في عمـوم العبـادة ، إلا أنهـا قـاصرة والمقصودة بالألوهية العبادة.

٧- أنه مشتق من (ألَهَ) آلـه أي قـادر عـلى الاخـتراع ومنـه سـميت الآلات بذلك، وجعل أصحاب هذا القول الإله بمعنى الفاعل لا المفعول وفسروا الألوهيـة بالقدرة والخلق والاختراع والربوبية، فالإله هو القادر وهو الرب، وهذا قول مبتدع لا تدل عليه النصوص ولا جاءت به اللغة وهذا القول والفهم أوقعهم في الشرك .

وهذا معنى الألوهية عند المتكلمين والصوفية القبورية . والعبـادة عنـدهم لا تسمى عبادة إلا مع اعتقاد النفع والضر في المعبود وإعطائه بعض صـفات الربوبيـة، كذلك لا يعتبرون الدعاء والاستغاثة من العبادة إنما العبادة فقط السجود والصلاة .

قال ابن تيمية: (الإله هو المألوه أي المستحق أن يؤله أي يعبـد ولايـستحق أن يؤله ويعبد إلا الله، وقد غلط طائفة من أهل الكلام فظنوا أن الإلـه بمعنـى الفاعـل وجعلوا الألهية هي القدرة على الاختراع والربوبية) الفتاوى ١٣/ ٢٠٣ و٣/ ١٠١.

م (٦٣) : الألوهية صفة من صفات الربوبية :

الألوهية هي صفة من صفات الله ﷻ وحق من حقوقه، فاستحقاق العبادة لله هي من مفردات الربوبية وخصائصها . وبيان ذلك أن الألوهيـة معناهـا اسـتحقاق العبادة، ومعلوم أنه لا يستحق أحد العبادة غير الرب الخالق، فأحقية العبادة هي من لوازم الربوبية وصفاتها ومعانيها، فالرب لابد أن يعبد ويطلب ويرجى لكونه القادر على كل شيء، والعكس بالعكس العبادة والألوهية لا تنبغي إلا لمن قدر عـلى النفـع والضر والخلق ولا توجد هذه الصفة في أحد غير الله تعالى .

م (٦٤) : الألوهية صفة للرب وللعبد:

أولاً : الألوهية المتعلقة بالرب : ويقصد بها استحقاق العبادة

وهي صفة مشتقة من الإله وذلك بكون الله ﷻ مستحق للعبادة وهو المعبود .

ثانياً : ألوهية العبد : وتطلق على فعل العبادة ويقصد بها الفعل نفسه :

فتتعلق الألوهية التي هي العبودية بالعبد من حيث كونه عابدا، فلا بد للمخلوق من ألوهية وعبودية لغيره فهي صفة من صفاته التي لا تنفك عنه .

قاعدة : تحقيق توحيد الألوهية يحصل بأمرين :

عبادة الله وحده بما شرع لنا رسوله .

البراءة من عبادة غيره والكفر بالطاغوت .

ولا يكفي أحدهما عن الآخر ، ومن تركهما أو أحدهما فهو كافر .

م (٦٥) : أركان الألوهية :

تتكون الألوهية من أربعة أركان تقوم عليها ولا تتم وتصح إلا بها.

الركن الأول : قول القلب وذلك بمعرفة الله ﷻ وتصديقه .

الركن الثاني : عمل القلب وذلك يتحقق بالإقرار بوحدانية الله ﷻ وإفراده بجميع أنواع العبادة ومحبته ورجائه والخوف منه والخضوع له وتعظيمه والرضا به.

الركن الثالث : قول اللسان ويكون بالنطق بالتوحيد (الشهادتين) وذكره ﷻ وبالثناء عليه وحمده وشكره ودعائه والاستعانة به وسؤاله وطلبه وحده لاشريك له.

الرابع : عمل الجوارح، ويتحقق بالقيام لله والصلاة والسجود والذبح .

فتوحيد الألوهية منه الاعتقادي ومنه القولي ومنه العملي الفعلي .

م (٦٥) : دخول الولاء والبراء في الألوهية :

لا يتم توحيد الألوهية إلا بالولاء لأهلها ومعادة الكافرين بها المشركين ، ومما يدخل في مسمى العبادة الحب والبغض، والموالاة والمعاداة كما دلت آية إبراهيم ﷺ ﴿ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ ﴾ .

م (٦٦) : دخول الحكم في توحيد الألوهية :

جعل الله الحكم بما أنزل والتحاكم إلى أمره وشرعه وحكمه عبادة يحبها الله ويأمر بها ويجب أن يوحده العبد فيها فلا يحكم إلا بحكم الله ولا يتحاكم إلا إليه، فكل ذلك يدخل في مسمى العبادة. قال تعالى : ﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ يوسف: ٤٠ ﴿ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٢٦ .

قوله: (هو كله محضُ حقٍ لله. لا يصلح منه شيء لملك مقرب ولا نبي مرسل).

م (٦٧) : وهذه هي حقيقة التوحيد .

والمحض بمعنى الخالص .

والحقوق التي لله هي ما يخصه تعالى عن خلقه ثلاثة حقوق تفرد بها واختص بها سبحانه ولا تصلح لأحد غيره ولا يشاركه أحد فيها لأن كل من سواه فهو ناقص عن هذه الصفات وهو وحده ﷻ الكامل .**وهذه الحقوق والخصائص الثلاث هي :**

الأول : تفرده بالربوبية فلا رب للعالمين إلا هو ولا خالق ولا مالك ولا مدبر للكون ولا محي ولا مميت ولا باعث ولا رازق غيره ﷻ وهذا أحد الأمور التي استحق أن يوحد سبحانه فيها .

الثاني : تفرده بالألوهية وكونه وحده المستحق للعبادة دونما سواه، فلا يشاركه أحد في هذا الحق، فلا يوجد من يستحق أن يعبد، لأن استحقاق العبادة لا تكون إلا لمن هو كامل في ذاته وفي صفاته غني عن كل شيء قادر يملك النفع والضر وليست هذه الصفة لأحد غير الخالق سبحانه فمن خلق وملك كل شيء وجب أن يُعبد، وكان استحقاق العبادة صفة لازمة له لكمالة وتفرده بذلك .

الثالث : تفرده بصفات الحسن والكمال والجمال والجلال، فله وحده الأسماء الحسنى الدالة على الصفات العلى، لا يشاركه أحد في ذلك فهو الخالق وحده وغيره مخلوق ضعيف فقير محتاج للغنى الحميد العزيز العلي العظيم .

وهذا وجه انحصار التوحيد في ثلاثة أنواع .

قوله: (فلا ينوي المرء بشيء من هذه العبادات إلا لله).

م (٦٨) : معنى النية واستعمالاتها والشرك فيها :

فلا ينوي: بمعنى لا يقصد ولا يريد ولا يصرف لا بقلبه ولا بجوارحه.

وقد جاءت اطلاقات في لغة العرب ووردت في الشرع بمعنى صرف العبادة منها : التوجه والقصد والطلب والجعل والابتغاء الاتخاذ والإرادة والنية .

والنية هي العزم والقصد والإرادة والبغية .

ولها استعمالان :

تمييز العبادة بعضها عن بعض كصلاة الظهر عن العصر.

وتمييز العبادة عن الشرك وإرادة الله والإخلاص له وإرادة غيره .

مبحث الإخلاص

قوله : (ويخلص له).

م (٦٩) : المراد بالإخلاص:

قصد الله بالعمل والطاعة وإرادة وجهه بالعبادة . وعدم الوقوع في الشرك.

قد يعبر عن الإخلاص بالابتغاء أو النية أو الإرادة أو القصد .

والإخلاص والتوحيد والإفراد بمعنى واحد ومترادف.

م (٧٠) : إطلاقات الإخلاص ومعانيه:

المعنى الخاص: وهو المتعلق بالإرادة والنية وبعض أفراد العبادة والطاعة، ويكون بهذا الاعتبار والإطلاق جزء من التوحيد، ويصير المقصود به ما يقابل الرياء والسمعة والعجب وإرادة الدنيا .

المعنى العام: والذي هو مرادف للتوحيد ويتعلق بأصل الإيمان ويكون مقابلا بهذا الصفة والمعنى جميع أنواع الشرك بل وحتى الكفر والنفاق وهو الوارد في قوله تعالى: ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ الزمر: ٢ .

م (٧١) : حكم الإخلاص ومنزلته ومكانته: الإخلاص ركن الدين القويم ولا يقبل عمل ولا عبادة بدونه كما جاءت الأدلة والآيات بذلك .وهو الغاية التي من أجلها خلق الخلق وبعثت الرسل والدليل قوله تعالى :﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ البينة: ٥ وقال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦ ومعلوم أن العبادة لا تقبل بل ولا ينظر فيها إلا إذا كانت خالصة لله وحده وقام بها التوحيد ومالت وحنفت عن الشرك .

م (٧٢) : مراتب الإخلاص وأقسامه إلى أصل وكمال :

الإخلاص له مراتب يتفاوت الناس فيها ومن زال من قلبه أصل الإخلاص فهو إما كافر مشرك أو منافق كمن زال عنه أصل الإيمان، أما من زال كمال الإخلاص عنه فهو مسلم وقد يكون عاصيا.

م (٧٣) : القوادح في الإخلاص:

الأولى : قوادح تقدح في أصل الإخلاص وتنقضه وتزيله بالكلية وتبطله وتفسده من أساسه وهي الشرك الأكبر وهذا حال المشركين والكفار والمنافقين.

الثانية : قوادح كمالية: تنقص كمال الإخلاص إلا أنها لا تزيله ولا تبطله.

والقوادح المنقصة له إما أن يكون صاحبها قصر في الواجب منها وأنقص منه ويعتبر صاحبه مسلما عاصيا فاسقا، مثل الشرك الأصغر كيسير الرياء.

أو أنه يأتي بما يقدح فيه من الأفعال التي تستلزم معارضة كمال الإخلاص .

ومما يقدح يضاده أو ينقصه الشرك النفاق الرياء شرك النية والارادة والقصد، وإتباع الهوى والحسد وإرادة الدنيا والحرص عليها.

تنبيه عبارة : لك يا فلان خالص شكري أو خالص تحياتي أو خالص رجائي أو لكم رجائي الخالص وهذا لا يكون لله ﷻ، من شرك الألفاظ .

م (٧٤) : أقسام الشرك المتعلق بالإخلاص والإرادة والنية :

١ – أن يقصد الإنسان بعمله وعبادته الدنيا وزينتها من مال ومتاع ومنصب .

٢ – أن يقصد الإنسان بعمله الرياء والسمعة وثناء الناس ومدحهم وهو داخل في القسم الأول . ويكونان شركاً أكبر وشركاً اصغر وصورته .

م (٧٥) : أمور لا تنافي الإخلاص :

- كتمان الذنوب وعدم الجهر بها وسترها وكره إطلاع الناس عليها .

- فرح العامل بثناء الناس ومدحهم فيما لو اطلعوا على العمل من غير أن يتعمد العامل إظهار عمله أو يسعى لينال المدح .

م (٧٦) : تحول العادات لعبادات بالنية والعكس :

كما أن أعمال الآخرة قد يراد بها الدنيا كذلك العكس أعمال الدنيا قد يريد بها المسلم الآخرة فيثاب عليها، فأهل الإخلاص الكمّل يحتسبون أفعالهم الجبلّية لله.

م (٧٧) : قوله : (ويتب إليه).

التوبة لا تكون إلا لله ، وأما قول عائشة أتوب إلى الله ورسوله فجوابه :

١ - أن التوبة للرسول في الحقيقة توبة لله . كما أن طاعة الرسول مؤداها وحقيقتها طاعة لله .

٢ - أن يكون المقصود بالتوبة هنا التوبة اللغوية بمعنى الرجوع .

قوله : (ولا يدعى لكشف الضر إلا الله . كما قال تعالى : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ سورة الأنعام: ١٧ ، وسورة يونس: ١٠٧).

م (٧٨) : كشف الضر وجلب الخير من خصائص ربوبية الله ومما تفرد به الله وهذا مما أفرد به المشركون ربهم كما سيأتي .

قوله : (وهذا توحيد الألوهية) :

م (٧٩) : **التوحيد هو حقيقة لا إله إلا الله :**

شهادة أن لا إله إلا الله هي كلمة التوحيد وهي نفس قولنا التوحيد فهما كلمتان مترادفتان . قال ابن تيمية عن لا إله إلا الله أنها: عنوان التوحيد .

لأن لا إله إلا الله دلت على التوحيد لكونها قائمة على الحصر، الذي هو النفي والإثبات وهذا هو التوحيد، فلا يسمى الأمر توحيداً إلا إذا كان فيه أسلوب الحصر النفي والإثبات، نفي الألوهية والعبادة عن كل من سوى الله ﷻ ، وإثباتها لله وحده لا شريك له وحصرها عليه .

هذا وقد دلت كلمة التوحيد لا إله إلا الله على توحيد الألوهية بالمطابقة وعلى توحيد الربوبية والصفات بالتضمن والملازمة .

م (٨٠) : **لا يقوم التوحيد إلا بالكفر بالطاغوت :**

الكفر بالطاغوت أحد ركني لا إله إلا الله وقد دلت عليه كلمة التوحيد.

ووجه ذلك أن التوحيد له ركنان :

الأول : عبادة الله . الثاني : الكفر بالطاغوت والبراءة منه .

وسيأتي الكلام عن الطاغوت والكفر بالطاغوت .

مبحث تـوحـيـد الـربـوبـيـة

قوله : (أما توحيد الربوبية فهو : أن يعتقد العبد تفرد الله بأفعاله).

م (٨١) : **تعريف الربوبية :**

الربوبية: أصلها مأخوذ من اسم الرب .

وهي مشتقة من الفعل رَبَّ يرب . والياء والتاء في الربوبية للنسبة .

والمراد بالربوبية: الاتصاف بصفات الخلق والملك والتدبير، وقيام أفعال الرب التي لا تنبغي لغير الله ﷻ. ولا تصلح لمربوب مخلوق مملوك مدبَر .

م (٨٢) : **معنى توحيد الربوبية والصفات:**

إثبات الربوبية لله وحده الخالق . ونفي الربوبية وأفعالها عن الخلق .

فيعتقد الموحد بالربوبية أنه لا خالق غير الله ولا رازق ولا مدبر ولا مالـك إلا هو ولا يملك النفع والضر أحد سواه .

ومعنى توحيد الأسماء والصفات :

إثبات أسماء الله وصفاته لله التي أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله .

ونفي ما نفاه الله عن نفسه . وعدم إثبات شيء من صفات الكمال للخلق .

م (٨٣) : **معنى الرب :**

قال الأزهري في تهذيبه: قال ابن الأنباري : الرب يطلق على ثلاثة معاني :

(١- المالك . ٢- والسيد المطاع . ٣- والمصلح).

وعلى ما تقدم فالربوبية لا تخرج عن ثلاثة معاني :

الأول : المالك .

الثاني : السيد المطاع والآمر والحاكم والمشرع وسان الدين والمحلل والمحرم.

الثالث : المصلح المربّـي الراعي المدبر الخالق القائم على غيره والمتصرف فيه .

عليه فمدار الربوبية على ثلاثة أفعال: الملك، التدبير والخلق ، الأمر والحكم والشرع.

م (٨٤) : قيام الربوبية وأفعال الرب على أربعة أفعال :

١ – الملك .

٢ – الخلق .

٣– التدبير ، ويدخل فيها معظم أفعال الله ﷻ إذ لم يكن جميعها بما فيها الخلق .

٤ – الأمر ، ويدخل فيه التشريع والتحليل والتحريم وسن الدين .

م (٨٥) : أسماء توحيد الربوبية :

١ – توحيد أفعال الرب . لأن الربوبية حقيقتها أفعال الله وصفاته .

٢ – التوحيد الاعتقادي لأن محله الاعتقاد في مقابل العملي الذي هو الألوهية.

٣– التوحيد العلمي القائم على العلم بالله وأفعاله وصفاته .

٤ – توحيد المعرفة والإثبات لأنه متعلق بمعرفة الله وإثبات الكمال في صفاته .

٥ – التوحيد الخبري : القائم على الخبر والسمع .

٦ – توحيد الوسيلة أي الوسيلة إلى توحيد الألوهية الذي هو توحيد الغاية.

م (٨٦) : آثار الإيمان بتوحيد الربوبية ولوازمه:

الإيمان بتوحيد الربوبية حقاً والرضا به يحمل صاحبه على الكمال في عبـادة الله وحده وتوحيده في الألوهية وطاعته وتقدير الله حق قدره وتعظيمه والفرار من آثـار سخطه وإغضابه والخوف من عقابه . واللجوء إليه والانكسار بين يديه والافتقار له

سبحانه لكون النفع والضر، والإيمان الحق بالقضاء والقدر، وموالاة أولياء الله ومعاداة أعداء الله، والحكم بما أنزل الله والتحاكم لشرعه ومتابعة رسوله ﷺ .

م (٨٧) : توحيد الربوبية لا يدخل وحده في الإسلام وليس الغاية :

توحيد الربوبية على علو مكانته وعظيم قدره وكونه حق ولا ينجو العبد بدونه ولا يصح إيمانه إذا انتفى، إلا أنه مع ذلك من أتى به وحده لا يكفي ليعتبر مسلما، وليس هو الغاية التي بعثت بها الرسل، إذ الغاية هي عبادة الله وحده وتوحيده ﷻ في الألوهية والعبادة، أما الإيمان بتوحيد الربوبية فإن المشركين كانوا مقرين بأصله ومع ذلك لم ينفعهم هذا الإيمان لما وقعوا في شرك العبادة والألوهية .

م (٨٨) : أنواع الربوبية :

١ - الربوبية العامة : لجميع الخلق وهي المتضمنة لخلقهم ورزقهم وهدايتهم .

وهي ربوبية القدر والقهر.

٢ - الربوبية الخاصة بالمؤمنين : وتكون بتوفيق الله لهم وإعانتهم على طاعته.

وهي ربوبية الشرع والدين والأمر.

م (٨٩) : محل الإيمان في الربوبية ونوع آلته:

الإيمان بالربوبية كله من قبيل الاعتقادي وليس منه عملي ، بخلاف الألوهية .

أما الشرك في الربوبية فمنه الاعتقادي ومنه العملي المتعلق بالجوارح مثل التشريع والحكم بغير ما أنزل الله والتصوير وتعليق الحلقة والتمائم والتشاؤم وسب الدهر والريح والجزع والتسخط على القدر .

م (٩٠) : أنواع المخالفات والقوادح والشرك في الربوبية:

١- إنكار وجود الرب ﷻ. وقد حصل وجوده من الشواذ كبعض الفلاسفة والشيوعية الملاحدة، مع العلم أن أغلب من ينكر وجود الله حصل ذلك منه ظاهراً لا باطناً وكان من باب العناد والاستكبار، فهذا فرعون أكفر الناس والمنكر لوجود الرب قال الله تعالى عنه : ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ النمل: ١٤. وقال موسى عنه :﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ الإسراء: ١٠٢ .

٢- إنكار ربوبية الله وكونه خالقا رازقا وذلك بتعطيله عن أفعاله .

٣- إثبات ربوبية الله من غير توحيد فيعتقد الشرك فيها وتشبيه المخلوق بالخالق وإعطاء المخلوق شيء من الربوبية وخصائص الرب. فيعترف بربوبية الله ولكن يقع في الشرك في أفرادها فيثبت الربوبية للمخلوقين كحال غلاة الصوفية الذين يثبتون للأولياء والرسل علم الغيب والنفع والضر والقدرة على كل شيء.

٤- القدح في بعض أفعال الله مثل سب الدهر أو الريح أو التشاؤم أو تنقص خلق الله أو الاعتراض على قدر الله والجزع به وعدم الرضا بالقضاء والقدر .

٥- ترك الحكم بشرع الله وأمره وحكمه والتشريع والتحليل والتحريم .

٦- تشبيه الله تعالى بخلقه ونسبة النقائص له ﷻ. مثل نسبة الولد إليه .

٧- عدم تعظيم الله وتقديره حق قدره.

٨- السحر والتنجيم وادعاء علم الغيب فيها .

٩- إنكار القدرية خلق أفعال العباد وإنكار الجبرية الأسباب وأفعال العباد وكلا القولين فيه طعن في الربوبية .

١٠- إنكـار صـفات الله وتعطيلهـا وإنكـار معناهـا بـالتحريف والتفـويض والتأويل كما هو مذهب الجهمية أو بتمثيلها بصفات الخلق .

١١- من يكون شركه في الربوبية من جهة اللزوم فمن أشرك في الألوهية فقد استلزم إشراكه فيها الشرك في الربوبية والقدح في ربوبية الله .

م (٩١) : مرد نقض توحيد الربوبية إلى ثلاثة أنواع :

الأول : إنكار ربوبية الله وتعطيل الرب منها ومن أفعاله وهذا شرك التعطيل .

الثاني : إثبات الربوبية الخاصة بـالله لغـيره وعـدم توحيـده بالربوبيـة وتمثيـل المخلوق بالخالق في الربوبية . وهذا شرك التمثيل .

الثالث : القدح في أفعال الرب كسب الريح والدهر أو التسخط على القدر .

م (٩٢) :هل يوجد شرك عملي وأصغر في الربوبية ؟: نعم ومن أمثلة ذلك :

١- تعليق التمائم .

٢- سب الدهر وسب الريح .

٣- الجزع والتسخط على القدر .

٤- قول: ما شاء الله وشئت ولولا الله وأنت .

٥- التطير والتشاؤم.

٦- نسبة المطر للكواكب والنوء والنجوم والفصول كالربيع نسبة سبب.

٧- التبرك المبتدع بآثار الصالحين .

٨- التصوير .

٩- الحكم بغير ما أنزل الله في القضية الواحدة، والتحاكم شرك في الألوهية.

١٠- شرك الأسباب والقاعدة أن من جعل ما ليس بسببٍ سبباً وتعلق به ما لم يعتقد فيه التأثير فقد وقع في شرك الأسباب .

كل هذه شركيات عملية متعلقة بالربوبية وهي من الشرك الأصغر .

م (٩٣) : تنبيه : التشاؤم والتطير والتبرك وتعليق التمائم من شرك الأسباب .

فهي شرك في الربوبية فإن اعتقد فيها مجرد السببية في حصول الحوادث وردها فهو شرك أصغر . وإن اعتقد فيها التأثير بذاتها أو أن الله ﷻ جعل فيها التأثير والقدرة على الدفع والنفع فهذا شرك أكبر.

وإن خاف هذه الأشياء ورجائها أو تعلق بها وأحبها فهذا أشرك في الألوهية .

م (٩٤) : هل وجد من أقر بتوحيد الألوهية ومع ذلك وقع في شرك الربوبية:

نعم ويتحقق ذلك في طوائف :

١- القدرية : القائلين أن العبد يخلق فعله وليس الله بخالق للكفر والشر .

٢- أصحاب التمائم :ممن يلبسها ويعتقد فيها أنها سبب لدفع العين وهذا شرك في الربوبية وإن كان أصغر وإن اعتقد فيها التأثير بنفسها فهو شرك أكبر .

٣- المتبركون التبرك الممنوع بالآثار المبتدعة، واعتقاد البركة والنفع فيها .

٤- القادح في أفعال الرب كسب الريح والدهر ، والتسخط على القدر .

٥- من أثبت أفعال الرب ﷻ للمخلوق سواءً من باب السبب أو التأثير.

قوله : (أن يعتقد العبد تفرد الله بأفعاله).

م (٩٥) : تقدم الكلام قريبا عن محل الإيمان في الربوبية ونوع آلته وأنه متعلق بالاعتقاد وليس العمل .

قوله : (كالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، والضر، والنفع، وغير ذلك . ولا يصلح لغيره شيئاً (منها). فلا يقصد العبد بشيء منها لأحد) .

م (٩٦) : أفعال الربوبية والأمثلة لها :

١ – الخلق : ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ فاطر: ٣ .

٢ – فعل التدبير والتصرف في الأمر: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ يونس: ٣.

٣ – الملك وتفرده ﷻ به: ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ المؤمنون: ٨٨ .

٤ – الإحياء والإماتة : ﴿ رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ البقرة: ٢٥٨

٥ – البعث والحساب: ﴿ مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾ يس ٥٢ ﴿ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾

٦ – النفــع الــضر: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ يونس: ١٨ ﴿ لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ الأعراف ١٨٨ .

٧ – التصوير والإبراء والفطر: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ الحشر: ٢٤.

٨ – النصر: ﴿ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ﴾ ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ .

٩ – الرزق: ﴿ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ ﴿ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ﴾.

١٠ – الأمر والنهي والحكم والتشريع وسن الدين والتحليل والتحريم:

﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ الأعراف: ٥٤ ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ ﴾ الشورى: ١٣ ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ يوسف: ٤٠ ﴿ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ ﴾ المائدة: ٨٧ ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ الزمر: ٣ .

١١ – الإنعام : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ النحل: ٥٣

١٢ – الإطعام والتأمين: ﴿ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾.

١٣- علم الغيب: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ النمل: ٦٥.

١٤- القضاء والقدر والهداية والإضلال :

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ القمر: ٤٩ ﴿ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ المدثر: ٣١.

١٦- الإغناء والافقار : ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴾ النجم: ٤٨.

١٧- المعافاة والشفاء : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ الشعراء: ٨٠.

ومن أفعال ربوبيته ﷻ الإعزاز والإذلال ، وتصريف الأيام وإنشاء الليل وغشوه وتجلية النهار وتكويرهما وسلخ بعضهما من بعض، وإنزال المطر الإنبات.

وغير ذلك من أفعال الله ﷻ التي لا يحصيها إلا هو، كل يوم هو في شأن لا معقب لحكمه ولا راد لأمره سبحانه وبحمده .

م (٩٧) : ما تتضمنه الربوبية :

١- وجود الله ﷻ وكمال حياته وقيوميته .

٢- أفعاله من الخلق والتدبير أو الإعداد والإمداد والإعدام وملكه لهم .

٣- أسمائه وصفاته وكماله وجلاله وجماله وتفرده بالكمال وحده .

٤- قضائه وقدره ، ويرجع هو ومراتبه الأربع في الربوبية.

فقضاء الله وقدره هو فعل الله فهو حكم الله وتقديره وإرادته وخلقه وهذه أفعال راجعة للربوبية القائمة بالله ﷻ . كما أن مراتب القدر الأربع والتي هي (العلم ، الكتابة ، المشيئة ، الخلق) هي صفات الله وأفعاله الراجعة للربوبية .

٥- شرعه وأمره وحكمه .

يدخل الحكم بما أنزل الله وامتثال أمره والعمل بشرعة في الإيمان بالربوبية، وهذا الأمر لا يخفى، لأن الحكم والأمر وتشريع الدين وسن الشرائع من أخص صفات الله، وجعل الله ﷻ الأمر له وحده وتفرد بالحكم، وجعل من ينازعه في هذه الصفة كافر مشرك مكذب بربوبيته مشركاً فيها ، وقد دلت عليه نصوص كثيرة جداً.

فقال سبحانه : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ الأعراف: ٥٤ فلا يأمر ولا يشرع ولا يحكم إلا من يخلق وكان رباً معبودا ، وأخبر تعالى أن الحكم له وحده لا يشترك معه أحد فيه ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٢٦ ، بل وأخبر الله ﷻ أن من عمل بحكم غيره فقد عبده وصيره إلهاً ورباً له ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ يوسف: ٤٠ ﴿ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا ﴾ آل عمران٦٤ ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١ ، فأنكر على من اتخذ له ربا يطيعه فيما يشرع له الدين ويحلل له ويحرم ويحكم ، وقد فسر الرسول ﷺ لعدي بن حاتم كيف اتخذوهم أربابا وذلك بطاعتهم في التشريع والتحليل والتحريم .

٦- إرساله الرسل من الملائكة والأنبياء وإنزال الكتب .

من ربوبية الله وأفعاله المقدسة: إرساله الرسل من الملائكة ومن الناس ليعلقوا الخلق بربهم ويبصرونهم بمراد خالقهم، فإرسال الرسول وبعثة الأنبياء من أفعال الله ومن مقتضيات ربوبيته ولوازم حكمته، وهذا أمر دل عليه العقل والفطرة والشرع .

وذم الله ﷻ من أنكر بعثة الرسل وأخبر أن ذلك في الحقيقة قدح في ربوبيته كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾ الأنعام: ٩١.

٧- الإحياء والإماته وبعثه لخلقه بعد إمـاتتهم والنـشور وحـسابهم وإثـابتهم وإدخالهم الجنة وعقابهم بالنار. من أعظم أفعال الربوبية المتفرد بها لجلاله وعظمته .

ومعرفة الكفار بالله لم تنفعهم، وصار إنكارهم البعث والرسالة كفر وتكذيب استحقوا به النار، لأن تكذيبهم بالبعث والرسل كفر وطعن في الربوبية .

هذه أركان الربوبية السبعة والتي لا يصح إيمان العبد إلا بإيمانه الحق بها.

٨- الألوهية صفة من صـفات الربوبيـة . وبيـان ذلـك أن الألوهيـة معناهـا استحقاق العبادة، فأحقية العبادة من لوازم الربوبية وصفاتها، فالرب لابـد أن يعبـد والألوهية لا تنبغي إلا للرب الخالق القادر .

مبحث : العلاقة بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية:

قوله : (ولا توجد حقيقة الإسلام إلا بقيام العبد بهذين التوحيدين) .

م (٩٨) : الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية :

١ – أن الربوبية متعلقة بأفعال الرب ﷻ كالخلق والإحياء فهي فعله وصفته .

والألوهية متعلقة بأفعال المخلوق كالخوف والسجود فهي فعل العبد وصفته.

٢ – أن توحيد الألوهية متضمن للربوبية .

وتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية وليس متضمن له.

٣– أن توحيد الربوبية متعلق بالاعتقاد والقول .

وتوحيد الألوهية متعلق بالعمل عمل القلب والجوارح مع الاعتقاد.

٤ – أن الربوبية توحيدها معرفة وإثبات .

والألوهية توحيدها إرادة وطلب وقصد .

٥ – أن الربوبية متعلقة بالأمور الكونية القدرية كالخلق والتدبير .

والألوهية متعلقة بالشرع والأمر والنهي والمحبة والرضا .

٦ – أن الربوبية مشتقه من اسم الرب وهو السيد المربي المتصرف .

والألوهية مشتقه من اسم الإله وهو المعبود .

٧– أن الربوبية متضمن الإيمان بأن الله رب كل شيء وخالقه المتصرف فيه .

وتوحيد الألوهية متضمن الإيمان بعبادة الله وحده لا شريك له ونبذ ما سواه .

٨– أن توحيد الربوبية أقر به المشركون غالباً .

وأما توحيد الألوهية فوقعوا في الشرك فيه وأنكروا توحيد الله به .

٩- أن الربوبية دليل على الألوهية والألوهية مدلول للربوبية .

١٠- أن توحيد الربوبية لا يدخل من آمن به فقط في الإسلام .

بعكس توحيد الألوهية فإن الإيمان به يدخل الإسلام .

١١- أن الألوهية والربوبية من الألفاظ التي إذا اجتمعت في اللفظ افترقت في المعنى وإذا افترقت اجتمعت .

م (٩٩) : **الرد على من زعم أن الألوهية والربوبية متحدة المعنى :**

١- أن لفظ الإله غير لفظ الرب، حيث يختلفان في اللفظ والمعنى بإجماع أهل اللغة وأهل التفسير والشرع.

٢- أن الله جمع بين الاسمين (الرب والإله) في كتابه في سورة الفلق وآية مريم وغيرها وعطف بينهما والعطف يقتضي المغايرة .

٣- لو صحت دعواهم أن الألوهية والربوبية معناهما واحد، لكان من قال لا رب إلا الله داخلا بذلك في الإسلام ومعلوم أنه لا يدخل الإسلام إلا بلا إله إلا الله.

٤- أن كفار الأمم التي بعثت فيها الرسل كانوا يعلمون أن الرب الخالق هو الله وحده بل ويستحق أن يعبد لكن نازعوا في أنه وحده المستحق للعبادة .

م (١٠٠) : **الألوهية والربوبية من الألفاظ المتداخلة عند الاقتران:**

أي أنهما إذا اجتمعا في اللفظ واقترانا في جملة واحدة افترقا في المعنى وفسر كل واحد بأشهر معانيه وما يخصه، فالألوهية بالعبادة والربوبية بالخلق والملك والتدبير .

وإذا افترقا في اللفظ اتحدا في المعنى وفسر كل لفظ بالآخر.

فهي مثل الإسلام والإيمان والفقير والمسكين .

قال ابن تيمية: (وإن كانت الإلهية تتضمن الربوبية والربوبية تستلزم الألوهية فإن أحدهما يتضمن الآخر عند الانفراد ولا يمنع أن يختص بمعناه عند الاقـتران) . الفتاوى ١٠/ ٢٨٣.

أولاً : اجتماع الألوهية والربوبية والإله والرب :

قال تعالى :﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ مَلِكِ ٱلنَّاسِ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ الناس: ١-٣ .

وقوله:﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ الرعد:٣٠، فجمع ﷻ بين لفـظ الـرب الـدال على الربوبية والخلق والتدبير ولفظ الإله الدال على الألوهية واستحقاق العبـادة ممـا يدل على افتراقهما في المعنى وإن لكل لفظ معنى يخصه .

ثانياً : ذكر الرب والربوبية ودخول الألوهية فيه :

قال ﷻ:﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ ﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴾ أي معبودكم .

ثالثاً : ذكر الألوهية ودخول الربوبية فيه :

قوله:﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٢٥ فالآية دالة عـلى الألوهيـة ويـدخل فيها الربوبية فمعنى الآية لا معبود بحق إلا أنا ولا خالق قادر مدبر مالك إلا أنا .

أوجه دخول توحيد الربوبية في توحيد الألوهية :

١ – أن الألوهية تستلزم الربوبية، فالمعبود يلزم أن يكون رباً كاملاً مالكاً مدبراً بيده النفع والضر وإليه يرجع الأمر وله صفات الكمال والجلال .

والمستحق للعبادة من له هذه الصفات والتي مردها للربوبية.

٢– أن الإيمان بربوبية الله وتوحيده بها من العبادة والألوهية التي تقربنا إليـه، فإثبات الربوبية لله وحده عبادة من العبادت، وهذه من مقتضيات الألوهية.

٣- أن الله تعالى يحب أن يوصف بالكمال وأن يوحد في الربوبية، فالله ﷻأمر بذلك ورضيه وأحبه وهذه المعاني كلها من الألوهية والعبادة القائمة بالعبد.

٤- أن الله ﷻ جعل الدخول في الدين بقول كلمة لا إله إلا الله، فلو لم تكن هذه الكلمة دالة على توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية معا، لأتى بعبارة أخرى.

٥- أن اسم (الله) دال على الألوهية بالمطابقة وعلى أسمائه وصفاته وربوبيته جميعاً بالتضمن والملازمة .

٦- أن من وحد الله في الألوهية والعبادة فلابد أن يكون موحداً لله في ربوبيته ومؤمناً بذلك وهذا يدل عليه العقل أن الألوهية متضمن للربوبية .

أوجه دخول توحيد الألوهية في توحيد الربوبية :

١- أن الربوبية تستلزم الألوهية، فالرب لابد أن يكون إلهاً، ومن كان كاملاً مالكاً للنفع والضر والتدبير والخلق فلابد أن يُعبد، ويستحق العبادة .

٢- أن توحيد الألوهية معناه استحقاق العبادة لله ﷻ، ومعلوم أن هذه الصفة التي هي استحقاق من صفات الكمال المتعلقة بالربوبية.

٣- أن من صفات الله ﷻ الملازمة للربوبية الحب والرضا ، ومما يحبه الله ويرضاه أن يوحد في الألوهية .

٤- أن الألوهية من مقتضيات الفطرة والقدر والربوبية ، فلا يصل العبد المربوب المخلوق لربه وخالقه إلا بالعبادة والألوهية ولا يصلح العبد إلا بذلك، وكما أن العبد محتاج للربوبية من الله فهو محتاج حاجة أولوية للألوهية.

م (١٠١) : تلازم الربوبية والألوهية :

قال ابن عبد الوهاب: (ولا يغلط في الإلهية إلا من لم يعطه الربوبية حقه) .

قال العلامة الألوسي العراقي في تفسيره : (ولا أرى أحداً ممن – يدعو غير الله – إلا وهو يعتقد أن المدعو الحي الغائب أو الميت المغيب يعلم الغيب أو يسمع النداء ويقدر بالذات أو بالغير على جلب الخير ودفع الأذى وإلا لما دعاه).

قال الحكمي في المعارج : (وبقية المشركين يقرون بالربوبية باطناً وظاهراً كما صرح بذلك القرآن مع أن الشرك في الربوبية لازم لهم من جهة إشراكهم في الإلهية، إذ أنواع التوحيد متلازمة لا ينفك نوع منها عن الآخر وهكذا أضدادها، فمن ضاد نوعاً من أنواع التوحيد بشيء من الشرك فقد أشرك في الباقي، مثال ذلك في هذا الزمان عباد القبور إذا قال أحدهم للمقبور أغثني ونحو ذلك يناديه من بعيد فدعاؤه إياه عبادة صرفها لمخلوق وهذا شرك في الألوهية، وسؤاله إياه تلك الحاجة من جلب خير أو دفع ضر أو رد غائب و شفاء مريض ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله معتقداً أنه قادر على ذلك فهذا شرك في الربوبية) .

مبحث: إقرار المشركين الذين بعث فيهم الرسل بتوحيد الربوبية في الجملة :

قوله : (فصل : وأما الإقرار بتوحيد الربوبية :

فهو الذي أقر به مشركوا العرب، ولا ينكرونه ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ الزخرف: ٩ .﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ الزخرف: ٨٧ .﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ يونس: ٣١ . وغير ذلك من الآيات).

م (١٠٢) : تحقيق القول في مسألة إقرار الكفار بتوحيد الربوبية :

كان المشركون العرب وغيرهم مقرين بربوبية الله وأنه الخالق الرازق المدبر المالك وهذا لاخلاف فيه، وإنما الكلام في توحيدهم بالربوبية هل حصل لهم تحقيقه.

والتحقيق في ذلك: أنهم كانوا مقرين بتوحيد الربوبية في الأصل والجملة والأساس والدليل على ذلك قوله تعالى:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾الزخرف: ٨٧ ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ الزخرف: ٩.

فكان إقرارهم بالله وبربوبيته أمر ثابت بل وحتى ألوهيته أقروا بها لكن خالفوا في توحيد الله بالألوهية فهم لا يقرون به ولا يوحدون الله في العبادة فلا يريدون أن يعبدوا الله وحده وإنما يريدون الشرك في العبادة كما في قولهم ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ ﴾ الأعراف: ٧٠ ﴿ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ الكافرون: ٣ لأن العبادة لا تقبل إلا بالتوحيد وهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره .

لكن هذا التوحيد منهم لم يكن كاملا ولا صحيحاً، فإيمانهم مختلط بالشرك كما أخبر عنهم تعالى في قوله: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ يوسف: ١٠٦.

أما عدم صحته: فلأن من لازم التوحيد في الربوبية التوحيد في الألوهية، فمن أشرك في الألوهية فليس إلا لغلط في الربوبية وقدح فيها، وإلا لو كان حقاً مؤمن بربه الكريم لما أشرك في عبادته وما اغتر بعبادة الآلهة الباطلة.

وأما عدم كماله فلوجود شرك في بعض أفراد الربوبية :

ومن ذلك قول المشركين ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ هود: ٥٤ ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ ﴾ يس: ٧٤ - ٧٥. فحصل منهم الشرك بنسبة شيء من التصرف والنفع والضر بعض الأحيان لآلهتهم وأنها تعتري أعدائها بسوء وطلبوا منها النصر، وكما قالوا على وجه الاستكبار ﴿ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ فصلت: ١٥ .

كذلك تلبيتهم: (لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك) فأثبتوا لهذه الآلهة نوع ملك وهذا القدر هو من الشرك في الربوبية، فهم وإن كانوا قد أقروا و اعترفوا أن الربوبية الحقة المطلقة لله وحده لكن اعتقدوا أنه يوجد لغيره بعض خصائص هذه الربوبية كالملك والنفع والضر والاعتراء .

فمع إقرارهم أن المالك المدبر النافع الضار في الأصل هو الله وحده كما أخبر ﷻ عنهم في مثل قوله: ﴿ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ الأنعام: ٦٣ ﴿ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ يونس: ٣١ .

وما قاله تعالى وهو يبين بسؤال الحجة والإفحام والتقرير هذا الأصل أن النفع والضر بيده وحده وأن المعبودات لا تملكه : ﴿ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ الأنبياء: ٦٦ ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ الشعراء: ٧٣ ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ الإسراء:٥٦ فالله ﷻ يسألهم ليقررهم بطلان عبادة ما سواه هل في شيء من هذه الآلهة والمعبودات الباطلة من يرزقكم وينجيكم من كل شيء ويكشف الضر ويعصمكم ويكلؤكم ويمنعكم من الله، ومن يجير ولا يجار عليه وأنه لا يدفع نفعه ولا يكشف ضره أحد سواه وأنه وحده الذي يجيب المضطر إذا دعاه .

ومع هذا كله فالمشركون الذين بعثت فيهم الرسل وإن كانوا مقرين بهذا الأصل في الجملة، إلا أنه مع ذلك وقع لهم اضطراب في هذه العقيدة .

ومما يدل على اضطرابهم في هذا الباب وعدم التزامهم بلازم الربوبية الحقة وإعطائها حقها من التعظيم والتوحيد أنهم سألوا معبوداتهم ما لا يقدر عليه إلا الله، مما يدل على اعتقادهم أن لها نوع قدرة، وهذا لا يعارض أن هؤلاء المشركين كانوا لا يشكون أن آلهتهم ومعبوداتهم مخلوقة وأن الله الذي خلقها وهو الذي يدبرها ويملكها وهو قادر عليها، وأنها ما تعبد إلا لمنزلتها من الله ومكانتها عنده وما يعطيها الله من الكرامات والقدرة على بعض النفع وشيء من الضر والاعتراء لمن يعاديها . وهذا أمر ظاهر وإلا لم يكونوا ليقعوا في الشرك لو التزموا بالربوبية، ولن يلتزموا بالربوبية إلا إذا كان إيمانهم بها قائم على التوحيد الحق الكامل الصحيح بها، والقاعدة أن من أشرك في الألوهية فليس إلا لأجل نقص توحيده في الربوبية . ولما لم

يكن الأمر كذلك حصل منهم الشرك في الألوهية للخلل الحاصل عندهم في الربوبية ولا يعني هذا أنهم غير مقرين بتوحيد الله في ربوبيته في الجملة والأصل .

ومن أدلة إقرار المشركين بتوحيد الربوبية لله:

قال الله ﷻ حاكياً منهج المشركين وإقرارهم بتوحيد الربوبية لله :

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾لقمان: ٢٥

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ المؤمنون: ٣٨

وأخبر عنهم اعترافهم أن الله يستحق أن يعبد لكن نازعوا في توحيده بالعبادة ﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ ﴾ الأعراف: ٧٠

وأخبر عن اعترافهم بالشرك ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا ﴾ الأنعام: ١٤٨

كما أخبر عن إيمانهم به ﷻ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾يوسف١٠٦.

إقرارهم أن المدبر النافع الضار هو الله وإخلاصهم حال الشدة: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾الأنعام٦٣.

﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ العنكبوت: ٦٥

ومن الأدلة على اعتراف مشركي العرب بتفرد الرب بالنفع والضر :

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾.

﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾.

﴿ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾.

ولا يعني ذلك عدم وجود مخالفات وقوادح في الربوبية عندهم من أعظمها :

١ - اعتقاد بعضهم النفع والضر في الألهة ﴿ ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ﴾ .

٢- إنكار الرسالة والإرسال وهو من ربوبية الله .

٣- إنكار البعث وهو من أفعال الربوبية .

٤- التحليل والتحريم والتشريع والحكم بغير ما أنزل الله .

٥- عدم التزامهم بلازم الربوبية الذي هو توحيد الألوهية وعبادة الله وحده .

٦- اعتقادهم أن السحرة والكهان والمنجمين يعلمون الغيب.

٧- تشبيه الله ﷻ بخلقه وتنقصه مثل نسبة الولد إليه أو النوم والتعب.

٨- وقوعهم في سب الله عدوا بغير علم .

٩- التشاؤم والتطير ولبس الحلقة والتمائم والرقى واعتقاد تأثيرها ونفعها والاستقسام بالأزلام والتبرك بالأشجار والأحجار والاستمطار بالنوء .

قال ابن تيمية : (توحيد الربوبية وهذا لم ينازع في أصله أحد من بني آدم وإنما نازعوا في تفاصيله). وقال في الدرء:(كثير من الطوائف قصر فيه مع إثباته لأصله).

قوله : (فمشركوا العرب كانوا مقرين بأن الله : خلق السموات، وخالقهم، ورازقهم، ومحييهم، ومالك السمع والأبصار ، ولم ينفعهم ذلك).

م (١٠٣) : **مشركوا العرب :**

وغيرهم من مشركي الأمم كان معظمهم شركه في الألوهية .

م (١٠٤) : **كان شركهم على أحد وجهين وبطريقين:**

الطريق الأول: طريق العوام وهم من يطلب من معبوده أن يشفع له عند الله .

الثاني : طريق الفلاسفة ممن يعتقد أن المعبود يحصل النفع منه بمجرد القرب منه ببركة الفيض من الإله، بحسب يقين عابدها وتعلقه كالشعاع المنعكس في المرأة.

م (١٠٥) : مقرين : **تعريف الإقرار** :

الإقرار يكون بالقلب واللسان ولازمه الالتزام والانقياد .

وضد الإقرار الجحد والإنكار والجحود نقيض الإقرار .

والإنكار يطلق على : إنكار القلب وهو الجهل ﴿ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ .

وعلى إنكار اللسان مع اعتراف القلب ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ وهو بهذا مثل الجحود . والإنكار غالبا ما يقارن التكذيب والجهل .

الفرق بين الإنكار والجحود : الإنكار أعم والجحود أخص مطلقاً :

١- الإنكار يكون مع الجهل، ويكون مع العلم واليقين، والثاني المرادف للجحد، فلا يكون الجحود إلا مع اليقين والعلم ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ﴾ .

٢- الإنكار يكون بالقلب واللسان والجحود باللسان مع إقرار القلب.

٣- الإنكار يكون للأمر الظاهر والخافي أما الجحد فهو إنكار الشيء الظاهر ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ الأنعام: ٣٣ .

٤- الإنكار قد يكون حقا إذا كان المنكر محقا .

م (١٠٦) : أوجه عدم انتفاعهم بالإقرار بتوحيد الربوبية:

لأنهم لم يلتزموا بلازم الإقرار فلم يوحدوا الله في الألوهية .

أن إقرارهم لم يعصم دمائهم وأموالهم .

أن إقرارهم لم يدخلهم الإسلام .فلم يسلموا ويلتزموا ولا حكم الله بإسلامهم مع إقرارهم هذا .

أن إقرارهم لن يدخلهم الجنة ولن ينجيهم من النار .

قوله : (ولم يعصم دمائهم وأموالهم .

لأنهم لم يوحدوا الله في الألوهية ، التي هي التذلل لله بما شرعه الله .

وكانوا يدعون غير الله ويسجدون لغير الله) .

م (١٠٧): توحيد الألوهية أول واجب والعاصم للدم :

توحيد الألوهية أول واجب على العبد وآخر واجب لا يدخل أحد الإسلام إلا به ولا يدخل الجنة وينجو من النار إلا بتحقيقه وهو الذي يعصم الدم أو يهدره.

ومما يدل لذلك :أن جميع الرسل دعت إليه : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ النحل: ٣٦﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا ﴾ الأنبياء: ٢٥﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ هود: ٥٠

أنه الغاية التي من أجلها خلق الخلق : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾.

أن الرسول ﷺ كان أول ما يدعو الكفار إليه. قال ﷺ :(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وإني رسول الله فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم) . وقال ﷺ : (من كان آخر كلام من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة) .

وأجمع العلماء أن أول ما يدعى إليه الكافر كلمة التوحيد وبها يدخل في الدين.

م (١٠٨) : أكثر المشركين وقع شركهم في توحيد الألوهية .

معظم المشركين الذين أرسلت لهم الرسل كان دينهم الشرك في الألوهية باتخاذ الوسائط والشفعاء التي يزعمون أنها تقربهم إلى الله زلفى وتشفع لهم عنده وهذه حقيقة الألوهية التي يفعلونها والآلهة التي سماها الله ﷻ آلهة ليست لهؤلاء المشركين إلا مجرد شافعة يدعونها ويطلبون منها أن تقربهم إلى الله وتشفع لهم وتستغفر لهم

وتستنصر لهم وتطلب الرزق لهم، لا أنهم اعتقدوا أنها تخلق وترزق وتملك وتنفع وتضر بذاتها فقد كانوا مقرين بتوحيد الربوبية كما قدمنا عنهم ، وأن حقيقة شركهم كان في طلب الشفاغة من الأولياء : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ الزمر: ٣ ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يونس: ١٨ وهذه الوسائط والشفعاء كانت في الغالب من الأولياء فاتخذ عيسى وأمه إلاهين وود وسواع ويغوث كانوا رجالا صالحين واللات رجل صالح واتخذهم المشركون شفعاء لهم عند الله .

بل كان المشركون معترفين بألوهية الله وكانوا يعبدونه ويدعونه ويصلون له ويحجون لكن النزاع كان معهم في إفراده ﷻ بالألوهية وأن يوحدوه في العبادة ويعبدونه وحده كما قال ﷻ عنهم ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ ﴾ الأعراف: ٧٠ فهذه الآية أثبتت أنهم كانوا يعبدون الله ﷻ لكن لم يكونوا يريدون أن يعبده الله وحده وإنما يعبدونه ويعبدون معه آلهة أخرى بل فوق هذا كانوا يخلصون له العبادة والدعاء وقت الشدة ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ العنكبوت: ٦٥ ومع ذلك لم تنفعهم هذه العقيدة ولا أدخلهم الله بها في الإسلام .

وفي هذا رد على المتكلمين والقبورية الذين ظنوا أن الإعتراف بتوحيد الربوبية يدخل في الإسلام وأن الشرك هو فيه فقط .

قولــه : (كــما قــال تعــالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ يوسف: ١٠٦ . فهم مؤمنون بتوحيد الربوبية ، ومشركون بتوحيد الألوهية).

م (١٠٩) : اجتماع التوحيد والإيمان مع الشرك :

توجيه قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ يوسف: ١٠٦ .

الإيمان والشرك هنا لهما معنيان : والآية فيها تأويلان للسلف :

الأول : الإيمان بالربوبية والشرك في الألوهية .

أن المراد بالإيمان هنا توحيد الربوبية والإيمان بكون الله خالق وحده ، والشرك هو الشرك في الألوهية فلا يقبل هذا الإيمان ولا يعتبر به ولا يصح ولا يسمى إيمانا من حيث الإطلاق الشرعي وهو الإيمان المعتبر والمدخل للجنة ، وذلك لعدم وجود التوحيد فيه واقتران الشرك به .

قال ابن عباس : (من إيمانهم إذا سئلوا من خلق السماء والأرض قالوا الله وهم مع ذلك يشركون به ويعبدون غيره ويسجدون للأنداد دونه).

وقال مجاهد : (إيمانهم قولهم الله خالقنا، فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره).

الثاني : الإيمان هنا هو الأصلي والشرك المقصود به الأصغر الذي لا يزيل أصل الإيمان والإسلام .

فيكون المراد بالإيمان في الآية هو الإيمان الشرعي المقبول والمنجي من النار والمقترن بتوحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ويكون الشرك المقصود به في الآية الشرك الأصغر كالحلف بغير الله وكيسير الرياء وشكر الناس على ما أنعم الله به عليهم وعدم الرضا بالقدر المتعلق بالمصائب ونحو ذلك .

م (١١٠): يشهد المشرك بالتوحيد في حالات :

١- يشهد بنوع من التوحيد وهو الربوبية في الجملة.

٢- قد يوحد المشرك في حال الشدة والخوف ويشرك في الرخاء والأمن.

٣- وقد يأتي بتوحيد في بعض العبادات، فقد تجد شخصا يشرك في جانب ويوحد في جانب، فقد يوحد في جانب الحكم بما أنزل الله فيحكم بالشريعة ولكن يدعو غير الله ﷻ أو يكون العكس .

قوله : (ومشركون بتوحيد الألوهية) :

م (١١١) : قلت لو قال مشركون بالألوهية لكان أولى وهنا فائدة لغوية:

هل يصح أن يقال الشرك في التوحيد والشرك في توحيد الربوبية والشرك في توحيد الألوهية، أو يقال الشرك في الألوهية والشرك في الربوبية ؟ .

العبارة الصحيحة : أن يقال الشرك في الألوهية والشرك في الربوبية، ولا يقال الشرك في التوحيد والشرك في توحيد الربوبية والشرك في توحيد الألوهية .

وعلة ذلك : أن التوحيد يقابل الشرك ولا يجتمعان، فالتوحيد لا يتعلق به الشرك وإنما يتعلق بالعبادة والألوهية والربوبية، أما من وحد وأتى بالتوحيد فلا يقال أشرك في توحيده وإنما أشرك في عبادته .

ويصح أن يقال الكفر بالتوحيد.

قوله : (فأباح الله دمائهم وأموالهم وذرياتهم)

م (١١٢) : والدليل : قوله تعالى : ﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖ ﴾ التوبة: ٥ ﴿ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ ﴾ البقرة: ١٩١ ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ﴾ النساء: ٨٩ .

وقال ﷺ :(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وإني رسول الله فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحق الإسلام) رواه البخاري.

قوله : (حتى يجمعوا بين التوحيدين ، توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية).

م (١١٣) **التوحيدين مثنى لفظ (توحيد) .**

والناس في الإتيان بالتوحيدين على حالات أربع :

إما أن يجمعوا بينهما . أو أن لا يأتوا بهما

أو يأتوا بتوحيد الربوبية ويشركوا في الألوهية وهذا حال المشركين .

أو يأتوا بتوحيد الألوهية ويشركوا في الربوبية وهذا يوجد لكنه نادر

والتوحيد على صيغة تفعيل وهو متعلق بالعبد وضده الشرك . وتقدم بيانه .

قوله : (وهو التوحيد (أي الألوهية) : الذي اتفق عليه المرسلون ، وأنزل به الكتب . وخلق لأجله الخلق ، وشرع له الشرائع .

وهو أول فرض فرضه الله على عباده ، كما قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ** ﴾ النحل: ٣٦) .

م (١١٤) : **فضل التوحيد ومكانته وأهميته وثمراته :**

التوحيد أعظم ما أمر الله به، ولا يدخل الإسلام إلا به ولا يعصم الدم والمال إلا هو ولا يدخل أحد الجنة وينجو من النار إلا بتحقيقه ولا تقبل العبادات إلا به . ولم يخلق الله الخلق إلا ليوحدوه في العبادة . وله فضائل كثيرة لا يمكن حصرها منها أنه يقوي القلب ويشرحه ويسعده ولا تحصل السعادة والأمن إلا به كما أنه يربي على محبة الله وفعل الخير وكره الشر والبعد عنه والتقرب إلى الله والصبر.

م (١١٥) : **حاجة الناس إلى توحيد الألوهية :**

كما أن العباد في حاجة إلى ربوبية الله فهم في حاجة إلى ألوهيته وعبوديته والتعلق به ، وبما أن الله الخالق الغني الرحيم الناصر والخلق في حاجة لأفعاله وصفاته من نصرته ورحمته ورزقه وكرمه ، فكذلك هم في حاجة لصفة ألوهيته فهو الإله المعبود والخلق في حاجة لعبادته والتأله له، وتأمل قول الخليل في سورة الشعراء وذكره حاجته للإطعام والشفاء التي هي من معاني الربوبية ثم ذكر احتياجه للتوبة وغفران الذنب الذي هو من معاني الألوهية.

ومن لم يفهم هذا الأصل لم يفهم إياك نعبد وإياك نستعين فالأولى نعبد مردها للألوهية ونستعين مردها للربوبية، فنحن في حاجة إلى ربوبية الله وإلى ألوهيته .

فالخلق مضطرون مفتقرون إلى اللجوء إلى ربوبية خالقهم وعبادة إلههم .

م (١١٦) : **أهمية توحيد الألوهية :**

هو الغاية التي من أجلها خلق الخلق ولأجلها أرسلت الرسل وقامت السموات والأرض ويدل لهذا الأصل العظيم قوله ﷻ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ

إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦ . فلأجل توحيد الألوهية خلق الله الإنس والجن والملائكة، ولأجله بعثت الرسل وإنزلت الكتب، وهو دعوة جميع الرسل قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ النحل: ٣٦.

ولأجل التوحيد شرع الجهاد وجردت السيوف وأريقت الدماء وقام الرسل بذلك ولا يعتبر المرء مسلما إلا به ولا يدخل الجنة إلا بتحقيقه .

وقد دل على توحيد الألوهية الفطرة والعقل قبل نزول الشرع، وقد وهم وأخطأ من ظن أن الفطرة دالة على توحيد الربوبية فقط دون توحيد الألوهية .

وصلاح البشر بل جميع الخلق بتوحيد الألوهية فلا غنى لهم عنه فكما أن الناس محتاجون لربوبية الله فهم أشد حاجة إلى عبادة الله وألوهيته .

قال ابن تيمية : (التوحيد جماع كل خير والشرك جماع كل شر) .

ولا يمكن أن يجتمع شمل الأمة إلا بالتوحيد والجهاد عليه .

قوله : (وهو العاصم للدم والمال، إلا بحق الإسلام).

م (١١٧) : **العصمة والهدر :**

عصمة الدم وحرمته ضده هدر الدم وإباحته .

والذي يعصم الدم شيئان : الإسلام . والعهد والذمة للكافر .

والذي يهدر الدم هو المستثنى في قوله إلا بحق الإسلام كما في الحديث .

قال ﷺ :(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وإني رسول الله فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحق الإسلام) رواه البخاري.

والمهدر للدم خمسة أسباب :

١ – الكافر المحارب إلا المعاهد .

٢ – المرتد عن الإسلام .

٣– المحارب والمفسد من المسلمين .

٤ – الزاني المحصن واللوطي . ٥– القاتل قصاصا .

ويدل له الحديث : (لا يباح دم أمر مسلم إلا بإحدى ثلاث).

م (١١٨) : قوله : (وهو الذي لا يقبل الله عملاً إلا به ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ الكهف: ١١٠ .

هذه الآية نزلت في جندب بن زهير الغامدي رضي الله عنه.

وقد نصت على شروط قبول العمل وهما :

١ – الإخلاص لله ﷻ والتوحيد وهذا مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ البينة: ٥ . ولا تقبل العبادة إلا بالتوحيد .

٢ – المتابعة لرسوله ﷺ وهذا مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ الحشر: ٧ .

ودليل الشرطين: ﴿ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ الكهف: ١١٠ .

م (١١٩) : قوله : (وهو أعظم العدل ، الذي قامت به السماوات والأرض).

بالتوحيد قامت السموات والأرض فهو العدل وما يخالفه هو الظلم قال سبحانه ﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗا ﴾ الأنعام: ١١٥ . وبلا إله إلا الله التي هي التوحيد قام الخلق وكل شيء .

مبحث الشرك

قوله : (والشرك أعظم الظلم . كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ لقمان: ١٣. وقال :﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾ المائدة: ٧٢ الآية .

لأن الله لا يقبل عملاً مع الشرك : كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ الزمر: ٦٥).

م (١٢٠) : **تعريف الشرك وأسمائه وأقسامه :**

الشرك : الضم والخلط والإقتران، ضد الفرد والوتر والوحدانية والتفرد.

أسماء الشرك والألفاظ التي تطلق عليه :

التنديد – العدول – التسوية – الأمثال – الكفو .

وشرعاً :صرف العبادة لغير الله من دعاء وغيره أن تجعل لله نداً في العبادة .

وعرف أيضاً بأنه : تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله .

فيدخل في هذا التعريف الشرك في الألوهية والربوبية والأسماء والصفات .

والبعض يعرف الشرك بأنه تشبيه المخلوق بالخالق والعكس .

م (١٢١) : **علاقة الشرك بأنواع الكفر :**

الكفر له خمسة أنواع وهذه الأنواع في الحقيقة هي صفات لحال الكفر فالكفر إما أن يكون إعراض أو عناد واستكبار وإباء وامتناع أو شك أو نفاق أو تكذيب ورد وجحود أو ردة عن الدين .

والشرك فقد يكون صفته وسببه بأحد هذه الأنواع .

م (١٢٢) : الفرق بين الكفر والشرك :

اختلف أهل العلم واللغة في الفرق بين الكفر والشرك على أقوال :

القول الأول : أنهما بمعنى واحد فكل كفر شرك والعكس.

القول الثاني : أن الكفر أعم من الشرك فالكفر خصال كثير منه الشرك ومنه تكذيب الأنبياء وإنكار المعاد أو الملائكة وجحد الواجب واستحلال المحرم .

والصحيح أن الشرك له إطلاقان :

إطلاق خاص : وهو عبادة غير الله وهذا الغالب .

إطلاق عام : وهو مرادف لنفس الكفر.

م (١٢٣) : أنواع الشرك وأقسامه :

الشرك ينقسم إلى أقسام باعتبارات :

الأول : باعتبار النوع : فينقسم إلى شرك في الألوهية وشرك في الربوبية .

الاعتبار الثاني : باعتبار خطره : فينقسم إلى شرك أكبر وشرك أصغر.

الاعتبار الثالث : باعتبار ظهوره وخفاءه :

فينقسم إلى شرك ظاهر وشرك باطن (خفي) .

الرابع : باعتبار الآلة : فينقسم إلى شرك فعلي وشرك قولي وشرك اعتقادي.

الخامس: شرك تعطيل وسلب وإنكار، وشرك تنديد وتمثيل وإيجاد وإثبات.

كما يتنوع إلى :

- شرك الدعوة والمحبة والإرادة والطاعة.
- وشرك في الأحياء وشرك في الأموات .

- وشرك القبور والقصور الأول الدعاء والثاني في الحكم .

- شرك عناد وجهل وإعراض وجهل وتكذيب .

- شرك استقلال وشياع وشفاعة .

والخمسة الأولى أقسام والباقية هي من قبيل الأمثلة لا من قبيل الأقسام.

م (١٢٤) : قوادح التوحيد ونواقضه :

القسم الأول : ما ينقض التوحيد من أصلة ويزيله بالكلية .

وهو الشرك الأكبر والكفر الأكبر .

القسم الثاني : ما ينقص التوحيد ويقدح في كماله إلا أنه لا يزيله ولا يبطله.

وهو الشرك الأصغر وجميع المعاصي والبدع .

والقاعدة : الشرك الأصغر لا ينافي أصل التوحيد ولا ينقضه وإنما ينقص كماله .والشرك الأكبر لا يجتمع وجوده مع وجود الإيمان الشرعي وأصل التوحيد.

م (١٢٥) : ما يضاد التوحيد :

الشرك هو ضد الإفراد والتوحيد، ويكون بإحدى طريقين : إما بنفي ما أثبته الله تعالى ، أو بإثبات ما نفاه الله لنفسه. وفي اللغة الشرك من الجمع والتثنية والتشريك والخلط والضم ضد الإفراد وضد التوحيد .

الشرك ضد التوحيد وليس التشبيه ووجه ذلك أن التشبيه داخل في الشرك والشرك قسمان التعطيل والتشبيه ، بتعطيل الله من ربوبيته وألوهيته، أو إثباتها لغيره، وكليهما يناقضان التوحيد .

والشرك لا يحصيه إلا الله كما قال ابن القيم، فله صور متعددة وألـوان مختلفـة ونوازل معاصرة كلها تصب في الكفر بالله ﷻ . وأعظمه انتشاراً عبادة غير الله ودعاء الأموات ، والحكم بغير ما أنزل الله .

م (١٢٦) : درجات الشرك ومـخالفات التوحيد :

١ - إنكار وجود الله سـبحانه بالكليـة كـما هـو مـذهب الـشيوعية والدهريـة وفرعون منكر وجود الله ومدعي الربوبية.

٢- إنكار ربوبية الله ﷻ مع الإيمان بوجـود ومـن غـير إنكـار وجـوده وهـذا مذهب الفلاسفة الذين يقولون الله علة المعلـول لا يـصدر عنـه شيء ولا يفعـل ولا يخلق ولا يتصف بفعل أو صفة وإنما الخلق كله قديم حدث بحدوث الله فهـو وجـد بالعلة الأولى والعقل والفلك الأول .

٣- الإيمان بربوبية الله لكن من دون توحيده ﷻ فيها، وهؤلاء لا يوحدون الله في الربوبية وإن كانوا يثبتونها له، فيقولون الله خالق رازق مدبر مالك، ولكن يوجـد غيره من المخلوقين ممن له صـفة الربوبيـة فيخلـق ويـدبر، وهـذا مـذهب المجـوس القائلين للعالم خالقان وكذا القدرية الذين يقولون العبد يخلق فعلـه وكـذا الـصوفية الغلاة القائلين أن الأولياء يعلمون الغيـب ويتـصرفون في الخلـق ويـدبرون الكـون ويملكون الجنة والنار وكذا النصارى أصحاب التثليث وكـذا حـال النمـرود الـذي ادعى الربوبية لنفسه وجعل من نفسه ندا لله يخلق ويحيي ويميت مع الله.

٤- من يؤمن بتوحيـد الربوبيـة لله ولكـن يقـع في الـشرك في بعـض أفرادهـا كالشرك في التشريع والحكم أو يحصل منه ما يقدح فيها أو ينقص كمالها، ومـن ذلـك

الشرك الأصغر في الربوبية بتعليق التمائم والرقى والتبرك الممنوع بل كل من عصى الله من أهل التوحيد فقد قدح في كمال الربوبية ولم يعظم الله ولم يقدره حق قدره كذلك من يعطل الله من صفات كماله أو يمثله أو يقع في الشرك في الألوهية .

٥- من يثبت توحيد الربوبية لله ﷻ ويؤمن به لكن ينكر الألوهية فلا يعبده فيعرض عن الطاعة ويمتنع عن العمل، أو يقول الله لا يعبد وليس في حاجة للعبادة ولا فائدة من عبادته والله لم يأمر بها وهذا قول طوائف من الفلاسفة والملاحدة .

٦- من يثبت الألوهية لله ولكن لا يوحد الله فيها فيشرك غيره مع الله وهذا دين معظم المشركين الذين يعبدون الله ويعبدون معه آلهة أخرى .

٧- من يؤمن بتوحيد الألوهية ويثبته لله وحده لكن يقع فيما يقدح في كماله أو يخالف في بعض أفراده ومن هؤلاء أصحاب الشرك الأصغر .

م (١٢٧) : تعلقات التوحيد والشرك :

١- يتعلق التوحيد بالله .فيقال توحيد الله والشرك بالله .

٢- ويتعلق بالالوهية والربوبية والأسماء والصفات .

فيقال توحيد الألوهية وشرك الألوهية ومثله الربوبية .

٣- ويتعلق بالعبادة . فيقال توحيد العبادة لله والشرك في العبادة .

٤- ويتعلق بالإسلام . فيقال توحيد الإسلام لله .

وجاء الأمر بالتوحيد في الإسلام في قوله: ﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ﴾ .

٥- ويتعلق بالدين . فيقال توحيد الدين لله ﴿ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴾ .

٦- ويتعلق بالشريعة ويأتي الشرك في التشريع ﴿ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ ﴾.

٧- ويتعلق بالرسول . فيقال توحيد الرسول بالمتابعة كما سيأتي في فصله.

٨- ويتعلق بالإيمان . فيقال توحيد الإيمان بالله.﴿ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾.

٩- ويتعلق التوحيد والشرك بالانقياد والطاعة .

ويتعلق التوحيد بالحكم والمحبة والدعاء والخلق والأمر والتدبير وبقية أفعال وأفراد الألوهية والربوبية والصفات .

م (١٢٨) : الأصل هو التوحيد والشرك طارئ في الخليقة :

خلق الله ﷻ الخلق على عبادته وطاعته وتوحيده فكان الناس أمة واحدة على التوحيد قبل أن يختلفوا ويدخلهم الشرك ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ يونس: ١٩ ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ البقرة: ٢١٣ .

وفي الحديث القدسي قال الله ﷻ : (إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا) . رواه مسلم.

وقد بقي الناس بعد آدم على التوحيد زمناً حتى انتكست الفطر ودخلهم الشرك بعد مرور عشرة قرون من ذرية آدم .

ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام) رواه الحاكم والطبري.

مبحث شهادة أن لا إلــه إلا الله

قوله : (فصل : ومعنى لا إله إلا الله :

عملٌ به (أي بالتوحيد) . وتلفظٌ بها ، مع القدرة .

انقذه الله من ورطات الشرك والبدع .

فإن معناها : لا معبود (بحق) إلا الله) .

م (١٢٩) : حقيقة الشهادة ومراتبها :

الشهادة لا تعتبر شهادة إلا إذا اشتملت على أربع مراتب .

الأولى : علم الشاهد بها ومعرفته لها واعتقاد صحة ما شهد به وثبوتها عنده .

الثانية : تكلم الشاهد بذلك ونطقه بها .

الثالثة : أن يعلّم الشاهد غيره ما شهد به ويخبره به ويبينه له .

الرابعة : أن يلتزم بمضمونها ويلزم غيره بما شهد به ويأمره بها ويحكم بها.

فشهادة الله ﷻ لنفسه بالوحدانية والقيام بالقسط تضمنت هذه المراتب الأربع علمه بذلك وتكلمه به وإعلامه وإخباره وبيانه لخلقه وأمرهم وإلزامهم به .

وكذا شهادة المسلم بالتوحيد لا بد أن تقوم على هذه المراتب الأربع كما هو مقرر عند أهل السنة واللغة . ذكره ابن القيم وابن أبي العز.

م (١٣٠) : دخول الشهادتين في الإسلام والإيمان :

تدخل في ركن الإيمان بالله القائم على الجانب الاعتقادي القلبي الباطن.

وتدخل في الإسلام القائم على الجانب العملي الظاهر والعمل بالتوحيد.

م (١٣١) : معنى كلمة لا إله إلا الله :

معناها لا معبود بحق إلا الله، هذا معنى هذه الكلمة ودلالتها، ومضمونها الذي دلت عليه أنه لا معبود بحق إلا الله وأن كل معبود غير الله ﷻ فهو معبود باطل وعبادته شرك وكفر وفساد .

لأن الإله معناه المعبود والألوهية هي العبادة ونفى الله أن يكون هناك معبود يستحق العبادة والألوهية غيره سبحانه وتعالى وأن الآلهة والمعبودات التي يعبدها المشركون كلها باطلة فاسدة .

م (١٣٢) : شهادة أن لا إله إلا الله ينقضها أمران :

الأول: ترك عبادة الله أو نفي جنس منها عن الله أو نفي استحقاقها لله.

الثاني: إثبات استحقاق أي نوع من أنواع العبادة لأي مخلوق .

فالأول هو الكافر والثاني هو المشرك ، وكل قول أو اعتقاد أو تصرف وعمل يتضمن أحد هذين الأمرين يدخل صاحبه في الردة .

م (١٣٣) : مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله :

قولها باللسان والعمل بمقتضاها والالتزام بما دلت عليه من عبادة الله وحده وطاعته والإذعان لأمره والانقياد لشرعه والتسليم لرسوله والكفر بعبادة كل ما سواه وترك كل العبادات المبتدعة وعدم صرف شيء من العبادات لغير الله والبراءة من المشركين والكفار ومعبوداتهم وكفرهم .

قال ابن القيم : (وروح هذه الكلمة وسرها إفراد الرب جل ثناؤه وتقدست أسماؤه بالمحبة والإجلال والتعظيم والخوف والرجاء وتوابع ذلك من التوكل والإنابة والرغبة والرهبة فلا يحب سواه وكل ما يحب غيره فإنما يحب تبعا لمحبته وكونه وسيلة إلى زيادة محبته ولا يخاف سواه ولا يرجى سواه ولا يتوكل إلا عليه ولا يرغب إلا إليه ولا يرهب إلا منه ولا يحلف إلا باسمه ولا ينذر إلا له ولا يتاب إلا إليه ولا يطاع إلا أمره ولا يتحسب إلا به ولا يستغاث في الشدائد إلا به ولا يلتجأ إلا إليه ولا يسجد إلا له ولا يذبح إلا له وباسمه ، ويجتمع ذلك في حرف واحد وهو أن لا يعبد إلا إياه بجميع أنواع العبادة فهذا هو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله) الجواب الكافي ٢٣٣.

م (١٣٤) : متى تنفع كلمة لا إله إلا الله صاحبها :

لا تنفع هذه الكلمة صاحبها وقائلها إلا إذا قالها بلسانه واعتقد معناها بقلبه وعمل بمقتضاها بجوارحه ولا يكون ذلك إلا إذا أتى بثلاثة أمور :

١ - الإتيان بأركانها الإيمان بالله والكفر بالطاغوت وترك الشرك قصدا.

٢- العمل بشروطها السبعة . وهي :

العلم واليقين والصدق والإخلاص والمحبة والقبول والانقياد .

٣- عدم الإخلال بها ولا الإتيان بناقض من نواقضها . وهي :

الشرك - اتخاذ الوسائط والشفعاء - بغض الله أو رسوله أو دينه أو شيء مما جاء به - الاستهزاء بشيء من الدين - الحكم بغير ما أنزل الله باعتقاد أن هدي غير

الرسول أفضل من هديه وحكمه والعمل بغير الشريعة – من ظن أنه يسعه الخـروج عن شريعة محمد ﷺ– السحر – مظاهرة الكفار على المسلمين – عدم تكفير المشركين أو الشك في كفرهم – الإعراض عن الدين وعدم تعلّمه والعمل به .

وهذه القاعدة النافعة تخص المسلم الملتزم بها، أما الكافر فيـدخل في الإسـلام بمجرد قولها ثم إذا دخل في الإسلام والتزم به وعُرّف بأركانه وقواعده طولب بذلك بأن لا ينقضها وأن يتقيد بشروطها وأركانها فإن التزم وإلا اعتبر مرتداً كافراً .

تنبيه : لا تنفع لا إله إلا الله إلا العالم بمعناها العامل بمقتضاها .

ولا بد في قبول كلمة التوحيد من ترك الشرك قصدا . وتقدم الكلام.

م (١٣٥) : كلمة التوحيد قول واعتقاد وعمل :

لما كانت لا إله إلا الله من التوحيد والتوحيد من الإيمان، والإيمان قول وعمل، كانت لا إله إلا الله تقوم على ثلاثة أركان .

الأول : قولها باللسان والنطق بها .

الثاني : اعتقاد معناها بالقلب بتصديقها ومحبتها وقبولها واليقين بها .

الثالث : العمل بها والالتزام بمقتضاها وأركانها وعدم ارتكاب ما ينقضها.

هذا وقد ظن الجهال أن حديث : " من قال لا إله إلا الله دخل الجنة " ينافي أن تكون قول وعمل ، وجعل المرجئة هذا الحديث عمدتهم فيما أتوا به من الباطل الذي أصلوه وهو أن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة مهما ترك ومهما عمل .

قوله : (وعبوديات القلب ...

فهي النطق بالشهادتين والصلاة والصوم والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، باليد واللسان والقلب، كما قال صلى الله عليه وسلم : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه) إلى آخره).

م (١٣٦) : أعمال الألوهية والعبادة :

١ – الخوف :﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران: ١٧٥

الخشية الرهبة الوجل الهيبة الإشفاق الحذر، والتقوى والعفة وترك الحرام :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ المؤمنون: ٥٧﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ الأنبياء: ٩٠﴿ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ الأنفال: ٢﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ التوبة: ١١٩.

٢ – الخضوع والخشوع والإخبات والطمأنينة والسكينة .﴿ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴾ الأنبياء: ٩٠﴿ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ هود: ٢٣﴿ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ الرعد: ٢٨﴿ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ البقرة: ٢٣٨ . ﴿ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ المؤمنون: ٧٦.

٣– الرجاء والرغبة والطمع وحسن الظن في رحمة الله.

﴿ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ﴾ الأحزاب: ٢١﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ السجدة: ١٦ .

٤ – المحبة والولاء: ﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ البقرة: ١٦٥.

٥ – التوكل ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ المائدة: ٢٣.

٦ – الإخلاص:﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴾ البقرة: ١٣٩﴿ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ النساء: ١٤٦.

٧– الرضا: ﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ البينة: ٨.

٨- التعظيم والإجلال والأدب مع الله ﷻ.

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ الحج: ٣٠﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ الأنعام: ٩١

٩- التوبة والإنابة والإوابة والإواهة والاستقامة: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ النور: ٣١﴿ وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ الزمر: ١٧﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ هود: ٧٥﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ ﴾ الروم: ٣١﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾ ق: ٣٢﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ هود: ١١٢.

١٠- الشكر والمدح والحمد والثناء والذكر والتسبيح والاستغفار : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى ﴾ البقرة: ١٥٢﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ طه: ١٣٠﴿ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ﴾ نوح: ١٠.

١١- الصبر: ﴿ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ الأنفال: ٤٦

١٢- اليقين :﴿ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ السجدة: ٢٤

١٣- القيام والركوع والانحناء والسجود والصلاة والزكاة.

﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ لقمان: ٤﴿ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ البقرة: ٢٣٨ .

١٤- النذر والوفاء به ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ ﴾ الإنسان: ٧ ﴿ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ ﴾ الحج: ٢٩.

١٥- الصيام :﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ البقرة: ١٨٣

١٦- الطواف والحلق والإحرام والحج والاعتكاف.

﴿ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ ﴾ .

١٤- الذبح ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ الكوثر: ٢

١٥- الصدقة ﴿ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ الرعد: ٢٢

١٦- التصديق: ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴾ القيامة: ٣١

١٧– الصدق: ﴿ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ﴾ الأحزاب: ٨ ﴿ وَٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾.

١٨– الإسلام والإيمان :

﴿ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ ﴾ الزمر: ٥٤ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ الزخرف: ٦٩

١٩–الطاعة الاستجابة المسابقة المسارعة التنافس في الخير : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ ﴾ آل عمران: ١٣٢ ﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴾ المؤمنون: ٦١.

٢٠– التبرك بما شرعه الله :﴿ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ فصلت: ٤٤ .

٢١– الاهتداء وطلب الهداية ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى ﴾ محمد: ١٧.

٢٢– الدعاء والاستعانة والاستعاذة والتوسل والالتجاء .

﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ﴾ القصص: ٨٨ ﴿ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ ﴾ الأعراف: ١٢٨ ﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ النحل: ٩٨ ﴿ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ النحل: ٥٣.

٢٣– الحكم والتحاكم والطاعة:﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾.

٢٤– الجهاد والهجرة والأمر بالمعروف والدعوة:﴿ وَجَـٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ ﴾ الحج: ٧٨ ﴿ وَهَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ ﴾ الأنفال: ٧٥ ﴿ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ الحج: ٤١ ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ النحل: ١٢٥ ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ العصر: ٣.

٢٥– الإحسان والعدل وصلة الرحم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ النحل: ٩٠ ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ الرعد: ٢١.

فهذه العبادات وغيرها هي أعمال الألوهية فيجب أن يوحد الله بها ولا تصرف لغيره. وكل فعل أو قول أو اعتقاد يؤديه العبد ويتعبد الله به ويتقرب به إليه مما أمر به ورضيه وأحبه يدخل فيه التوحيد والشرك ويعتبر من أفراد توحيد الألوهية .

م (١٣٧) : قيام كلمة لا إله إلا الله وأفعال الألوهية على ثلاث مقامات :

الأولى : النسك والتعبد :

ويقوم هذا القسم على أغلب العبادات الباطنة من المحبة والخوف والرجاء والتوكل وغيرها والظاهرة من الدعاء والصلاة والصيام والسجود والقيام والركوع والطواف والذبح والحج والنذر والصدقة والجهاد والحمد والذكر ويدل لهذا الأصل أدلة منها : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ ﴾ الأنعام: ١٦٢ ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ الجن: ١٨.

الثاني : الحكم والشرع والدين والطاعة :

ويقوم هذا المقام على الحكم بما أنزل الله ﷻ والتحاكم إلى شرعه ورفض ما سواه وطاعة الله ورسوله، وهذا المقام يدخل فيه شهادة أن محمدا رسول الله والتوحيد في متابعته والتسليم لحكمه. ومما يدل على وجوب التوحيد في الحكم والأمر والتشريع والطاعة والتحاكم: ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ يوسف: ٤٠ ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٢٦ ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ﴾ النساء: ٦٠ ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١ ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١ ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ الأعراف: ٥٤.

الثالث : الولاية :

ويقوم هذا المقام على الولاء والبراء في الله بموالاة الله ورسوله ودينه وأوليـاءه ومعاداة أعدائه والبراءة منهم ومن دينهم ومعبوداتهم . ومما يدل على التوحيد في الولاء: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ المائدة: ٥٥ ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا ﴾ الأنعام: ١٤.

قوله : (والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس ، كما قال تعالى : ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ التوبة: ٤١) .

م (١٣٨) : الجهاد لا يصح إلا بالتوحيد والتوحيد لا يقوم إلا بالجهاد .

وقد قامت دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب على التوحيد والكفر بالطاغوت وتكفير المرتدين وقتالهم .

وقد قال عن نفسه : (عرضت دعوتي على علماء الأمصار فاستحسنوها إلا التكفير والقتال) .

وهما في زمان التعايش والحوار والسلام العالمي والعولمه أعظم ما يحارب بل وأجمعوا على مواجهته والصد عنه والله المستعان.

قوله : (ومن عرف معنى لا إله إلا الله فرق بين المعبودين الحق والباطل .

فالحق هو الله وحده لا شريك له .

والباطل هو من ادعيت له العبادة ، كالأصنام وغيرها .

فمن عرف الحق جعل جميع عبادته ، وخوفه، وحبه، وبغضه، ورجائه، وتوكله، واستعانته بالله ، الذي لا إله إلا هو) .

م (١٣٩) : أنواع الألهة :

١ – الإله الحق وهو الله ﷻ فهو المعبود وحده بحق .

وهذا حقيقة معنى كلمة التوحيد لا إله إلا الله : أي لا معبود بحق إلا الله فالنفي واقع على العبادة الحقة وعلى المعبود بحق وعلى الإله المستحق للعبادة، والإثبات بهذه الصفة لا يكون الا لله وحده المستحق للعبادة وليس نفي وجود المعبود ، فالآلهة غير الله موجودة وكثيرة ومثبته غير منفية لكن المنفي استحقاقها العبادة، إذ أن عبادتها باطلة ولا تستحق أن تعبد .

٢ – الآلهة الباطلة الظالمة وهي كل ما عبد من دون الله، ومن هذه المعبودات الموجودة الباطلة: الملائكة والأنبياء والأولياء والأموات والملوك والعلماء والجن والشمس والقمر والنجوم والنار والأصنام والأوثان والأشجار والصور والهوى والدنيا. وقد سمى الله كل ما يعبد إلهاً.﴿ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً ﴾ ﴿ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾.

فائدة : من أين جاءت تسميت الآلهة بالحق والباطل وما وجه تسميتها بذلك؟

وردت التسمية في قوله ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ ﴾ لقمان: ٣٠ ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ ﴾ الحج: ٦٢ ﴿ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ فَإِنَّهُمۡ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ الشعراء: ٧٥ .

واتصفت الآلهة بالبطلان لأن عبادتها وقعت بدون حق، ومعنى (بدون حق) أي أنها لا تستحق العبادة ولا تنبغي لها، فلا يعبد إلا من يخلق وينفع ويضر وحده .

وكونها آلهة (ظالمة باطلة) لأنها ما اتصفت عبادتها بالعدل كما هو الحال في عبادة ربنا ﷻ الذي تمت كلمته صدقاً وعدلاً وقامت بتوحيده السموات والأرض .

قوله : (انقذه الله من ورطات الشرك والبدع) .

م (١٤٠) : العبادات مبناها على التوقيف لا الإبتداع :

البدعة هي ما أحدثه الناس مما لا أصل له في الشريعة .

وفي البدع طعن في الله ورسوله ودينه حيث يلزم منه أن الدين والشريعة ليست بكامله ولم يشرع الله ما يصلح لهم والله ﷻ يقول:﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾.

وقال ﷺ : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) رواه البخاري .

وقال ﷺ : (من سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها) .

قال ابن عباس :(اتبع ولا تبتدع) .

وقال ابن مسعود ﵁: (الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة) .

وليس في الإسلام بدعة حسنة وما يستدل به المبتدعة من قول عمر ﵁ عن صلاة التراويح (نعمة البدعة هذه)، فلا حجة فيه لأن التراويح فعلها الرسول ﷺ فليست بدعة ثم فعل عمر من السنة فيكون بهذا مراده بالبدعة الحسنة في اللغة .

ومن أمثلة البدع: الاحتفال بالمولد النبوي والعيد الوطني وصلاة الرغائب والصلاة والصدقة عند القبور والبناء عليها وزخرفة المساجد وغير ذلك .

مبحث الإسلام

قوله : (ولا توجد حقيقة الإسلام إلا بقيام العبد بهذين التوحيدين) :

م (١٤١) : **تعريف الإسلام في اللغة :**

الإسلام مشتق من الفعل سَلِم يسلم إسلاماً وتسليماً واستسلاماً ومسالمة.

وفعل سلِم في اللغة يدور على معنيين :

١ – برء ونجا ووقى وخلص : ٢– انقاد وأذعن وأطاع والتزم وامتثل وأخذ :

م (١٤٢) : **الألفاظ المرادفة للفظ الإسلام** : الطاعة – الاستسلام – العبادة – الانقياد – الإذعان – الامتثال – الالتزام – الشريعة – الدين .

م (١٤٣) : **الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله .**

م (١٤٤) : **إطلاقات الإسلام إلى عام وخاص :**

الإسلام العام :وهو الدين الذي جاء به الأنبياء جميعاً، وهو التوحيد .

الإسلام الخاص :وهو شريعة نبينا محمد ﷺ والمناسك.

الإسلام الحقيقي : هو الذي يوافق باطنه ظاهره، ويدخل به صاحبه الجنة .

الإسلام الحكمي : وهو من نحكم على صاحبه وفاعله فأتى بها يحكم بإسلامه ونجري عليه أحكام الإسلام في الدنيا، ولو لم يكن في الحقيقة مسلماً عند الله.

ولا يعني حكمنا عليه بالإسلام أننا لا نكفره متى فعل مكفراً وظهر منه كفراً.

م (١٤٥) : **لا يقبل الإسلام إلا بإيمان يصححه .**

م (١٤٦) : **مراتب الدين** :الإسلام والإيمان والإحسان .

مبحث الكفر بالطاغوت والولاء والبراء

قوله : (فلا يحب إلا في الله ولا يوالي إلا في الله ولا يعادي إلا في الله .).

م (١٤٧) : **تعريف الطاغوت :**

الطاغوت هو كل ما تجوّز به الحد من متبوع أو مطاع أو معبود .

أو يقال كل ما عُبد من دون الله وهو راضٍ بذلك .

والطاغوت قد يكون من الأحياء أو جمادا وقد أمور معنوية .

م (١٤٨) : **حكم من ترك الكفر بالطاغوت :**

من يقول لا إله إلا الله لكنه لا يكفر بالطاغوت فهو كافر غير مسلم .

قال ﷻ: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾البقرة٢٥٦

والعروة الوثقى هي : كلمة التوحيد لا إله إلا الله .

م (١٤٩) : **حقيقة الكفر بالطاغوتوصفته وكيفيته :**

الكفر بالطاغوت يكون : بالقول والاعتقاد والعمل :

قال سليمان بن سحمان: (المراد من اجتناب الطاغوت هو بغضه وعداوته بالقلب وسبه وتقبيحه باللسان وإزالته باليد عند القدرة ومُفارقته، فمن ادعى اجتناب الطاغوت ولم يفعل ذلك فما صدق) . الدرر ١٠/ ٥٠٢.

م (١٥٠) : **من مقتضيات الكفر بالطاغوت :**

الولاء والبراء ومعاداة الكفار وتكفير المرتدين والجهاد والهجرة.

مبحث الولاء والبراء

م (١٥١) : الأدلة الدالة على ركنية الولاء والبراء في الدين :

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ المجادلة: ٢٢.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ المائدة ٥١.

﴿ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ ﴾ الممتحنة: ٤.

﴿ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ المائدة: ٨١.

﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ ﴾ النساء: ١٣٨ – ١٣٩.

﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ المائدة ٥٢.

م (١٥٢) : الولاء والبراء من أعظم لوازم ومقتضيات كلمة التوحيد:

دلت كلمة التوحيد على الموالاة والمعاداة بالمطابقة والتضمن والتلازم .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئاً " رواه الطبري .

قال محمد بن عبدالوهاب :" ولا يصح للمؤمن دين إلا بموالاة أهل التوحيد ومعاداة أهل الضلال وبغضهم والبراءة منهم "الدرر ٢/ ٩٥.

قال ابن تيمية :" إن الإيمان بالله وبالنبي ﷺ وما أنزل إليه يقتضي عدم ولاية الكفار فثبوت موالاتهم يوجب عدم الإيمان " مجموعة التوحيد ٢٥٩.

م (١٥٣) : قيام الولاء والبراء على ركنين :

الولاء يقوم على ركنين :

١ – المحبة الباطنة

٢ – النصرة وهي الموالاة الفعلية الظاهرة .

البراء يقوم على ركنين :

١ – البغض الباطن

٢ – المعاداة الفعلية الظاهرة .

ولا يتم الولاء والبراء إلا بركنيه الظاهر باللسان والجوارح والباطن بالقلب ولا يقبل من المسلم توحيده إلا بقيامه بموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين .

انتهى شرح رسالة التوحيد للعلامة السعيد الغامدي

نفع الله بالمتن والشرح وجعلها خالصة لوجهه الكريم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

٢٦ / ٢ / ١٤٣٤هـ

الفهرس